٥٥٠

550

دار الفنجاس

HARLEQUIN

www.elromancia.com

مـــرمـــوديـــة

ثقة الغريب

ايما ريتشموند

ثقة الغريب

ايما ريتشموند

ازعاج الجار:

لا يبدو أن أحداً في المدينة لا يعرف قصة حياتها. فتاة محلية تلتقي رجلا وائقا من نفسه، هرب بعيداً بكل اموالها. الآن كل ما تريده هيلاري هو الإختباء من العالم، من نفسها ومن ماضيها. وكانت تفعل ذلك تماماً إلى أن انتقل ليو إلى جوارها.

البؤس رفقة جيدة. خاصة إذا كان البديل هو الوقوع فقط مع غريب قاسٍ آخر.

لبنان: ٢٠٠٠ ل.ل - سوريا: ٦٠ ل.س - الكويت: ٧٥٠ فلس - البحرين: ١دينار - قطر: ١٠ دراهم - السعودية: ١٠ ريالات - الامارات: ١٠ دراهم - الاردن: ١,٥ دينار - المغرب: ٨درهم مغربي. - سلطنة عمان ١ ريال. - تونس: ٢ دينار

استفزها قائلاً:

«اسمعي، حدتك معي لن تحل مشاكلك. أخرجي من برجك العاجي يا هيلاري، قبل ان يفوت الاوان، قبل ان تتحولي حقاً إلى امرأة متغطرسة التي كنت للحظة خلت تبدين مثلها.»

بابتسامة ساخرة لشكلها الغاضب الذي يغلفه الصمت، خرج من البيت. في تصميم مفاجيء لتكون هي صاحبة الكلمة الأخيرة، لحقت به. وفتحت الباب صارخة فيه: «أنا لست متغطرسة! وحتى لو كنت كذلك، فلا شأن لك!»

www.elmaktabeh.com

إيما ريتشموند

تقول انها ودودة، غير مستأنسة ولا تشفى من الرومانسية وتضيف ان لديها زوج متفهم جداً، وثلاث بنات يعيشون في كنت.

حياتها المهنية تنقلت بين العديد من الوظائف المتنوعة، وحديثاً هي تشغل منصب سكرتيرة رئيس لمجموعة شركات. الآن تملأ نهارها بالكتابة مع أنها لم تخيب اوهام عائلتها في ان تعود إلى دور سيدة المنزل. إيما تجد في الكتابة هوس، وملأ الوقت كما انها مهمة لاستمراريتها.

٥٥٠

khouloub Abir 550

ثقة الغريب

إيما ريتشموند

دار
مؤسسة النحاس
للطبع و النشر و التوزيع
بيروت - لبنان

www.elromancia.com

الفصل الأول

«صباح الخير.»

ردت تحيته بحقد: «صباح الخير.» وأخذت تلم غسيلها المنشور وترمي به في سلة الغسيل القريبة من قدميها على الأرض.

«ألا تعتقدين انها سوف تمطر؟»

لم ترد، وصممت على ذلك لأنه مجرد دخيل ويفعل ذلك للازعاج فقط، لتجد بعد ذلك انها غير قادرة على ان تكون قاسية كما أرادت.

تمتمت: «محتمل.» مولية ظهرها له، التقطت سلة الغسيل عن الأرض لتبدأ بالعودة أدراجها إلى البيت، وسمعته يضحك.

التفتت ونظرت إليه، وبحنق ابعدت نظراتها عندما ابتسمت عيناه الرماديتان الدافئتان لها. انقبض قلبها، هرعت إلى البيت وصفقت الباب، ولكن تلك النظرة العابرة كانت اكثر من كافية لها لتنتبه إلى حقيقة انه خلع سترته غير عابىء بالرياح القارسة التي تجعل اي انسان يرتجف. وكان يحفر في قطعة أرض المزروعات الخاصة بالكولونيل، وحركاته الرشيقة لو صدرت عن اي واحدٍ عداه لكانت اعجبت بها.

وفي كل مرة تحاول الخروج من الباب، يبدو انه هناك، واحيانا يكون داخل المنزل يحاول اغضابها بملاحظاته

المغيظة. لا تستطيع حتى تجاهله، وهذا كان الشيء الأنسب لتفعله، وفي كل مرة يحاول الكلام، تجد نفسها تتراجع. لماذا لم يخبرها الكولونيل أنه سوف يؤجر منزله، تساءلت بحنق؟ من المؤكد ان هذا كان يبدو من باب المجاملة العادية؟ ولكن اي مجاملة اعطتها هي له؟ أو لأي شخص آخر؟

تساءلت ببؤس ووضعت سلة الغسيل قرب لوح الكي. أحست بعينيها وقد امتلأت بالدموع.

قال صوت بلطف بينما كان يفتح الباب الخلفي ببطء «هذا لن ينفع.»

رفعت رأسها مصدومة وهتفت بارتباك: «أنا لم اكن... لم افعل... أوه، لماذا لا تذهب؟»

«أنا آسف، لم اتوقف لأفكر.. هل يزعجك الأمر؟»

«كلا!» ولكنه كان يزعجها. لقد كان ذو بنية قوية اسمر، لم يكن آسفاً على الاطلاق، فكرت بانزعاج، وامرته بحدة: «وتوقف عن الابتسام لي هكذا! فأنت تتجول داخل وخارج بيتي وكأنك تملك المكان؟ لما لا تقرع الباب مثل اي انسان آخر؟»

سألها بنعومة: «هل تريدينني ان أخرج من جديد؟»

«كلا لا أريدك ان تخرج من جديد!»

«آه، حسناً.»

وتسلل إلى الداخل ببطء ونظرة النادم بغباء تظهر على وجهه القوي وابتسم ببطء.

تمتمت: «أنا أكرهك.»

بدا سخيفاً! فشعره الداكن بدا مبعثراً وغير مرتب، كما

وطويل جداً. كان ضخماً جداً، ومبالغ في كل شيء. لهجته الغريبة تضرب بقسوة على الاعصاب.

وبتنهيدة يائسة حدقت بالعينين العميقتين التي بدت انها لا يفوتها شيء.

عينان تشعرها كلما تنظران اليها بالغضب والارتباك. لا يزال يصر على الوقوف قريباً منها او لأن يلقي بيده على ذراعها، ثم يراقبها بسرور وهي تحاول الابتعاد عنه. ومع ذلك كيف يمكن لرجل واحد ان يشعرها انها مهددة إلى هذه الدرجة؟ كان هذا سخيفاً وغير عقلاني.

سألها بلطف: «ولكن ليس انا فقط، أليس كذلك؟ فعلى ما يبدو انت تكرهين الجميع ولا تعتقدين أن ملاحقة عملك وكأنك الآنسة القوية، يجعلك تنسين انك تنتمين إلى العنصر البشري.»

قالت بتبرم بعدما تمكنت أخيراً من إبعاد عينيها عن عينيه الرماديتين الدافئتين: «لا تكن سخيفاً، فأنت لا تعرف شيئاً عن مهنتي، أو أي شيء آخر، وأتمنى ان ترحل فعلي كي بعض الملابس.»

ووقفت وراء لوح الكي ولم تتوقع ان تجرحها ملاحظته، وقد انغمست سريعاً في عملها.

هل كانت في خطر نسيان من تكون؟ تساءلت بكآبة فهي صادقة بما يكفي للاعتراف بانها أصبحت تفضل البقاء بمفردها ولكن الآنسة القوية؟ هل هكذا يراها الناس؟ لا يبدو الأمر هكذا.

قطبت وهي تحاول ان ترى نفسها من الناحية الموضوعية، فلها وجه عادي، لا شيء مميز وعيناها

أخانتان قليلاً، ربما، لأنهما محاطتان بأهداب داكنة، ولكن شعرها بالتأكيد لا يعطي انطباع التصميم على عدم الشفقة، فهو يتطاير في كل مكان. ربما الطبيعة لا تعكس نظراتها، او ربما بسبب مظهرها المتمرد جعلت من الانسان داخلها لا واعية. ماذا؟ قوية؟ وها أنت يا هيلاري، قد عدت إلى تلك الكلمة من جديد! وهذه خيبة امل جيدة.

وعنّفها عقلها، ان هذا لا علاقة له بشكلك، كما تعرفين تماماً. ولكن هذه الافكار كانت مزعجة جداً لتفكيرها، لذا حاولت دفعها إلى عقلها الباطن. التقطت المكواة، وحاولت التركيز بقوة على عملها وكأن كي ياقة البلوزة احتاجت لكل تركيزها.

انكرت بعنف: «كلا، ولماذا يجب ان يكون؟ أنا لا آبه لما يفكر الناس بي، وخاصة أنت.»

«ألا تهتمين إلى أن القرويين يعتقدون انه لا يمكن الاقتراب منك؟»

«كلا.» لقد كان هذا ما أرادته، ألم تكن؟ ان تترك لوحدها. ولكن الا يستحقون افضل من هذا؟ لقد كانوا الطفاء معها إلى درجة لا تصدق، وهذا ليس من شأنه، فهو لم يكن من القرويين بل مجرد زائر.

ودافعت عن نفسها قائلة: «على كل، انا لست كذلك ولكن مكتفية فقط.»

عارضها قائلاً: «متعجرفة وكأنك تنظرين الينا بغرور.»

انكرت بشدة: «أنا لست كذلك، وأنا لا انظر إلى احد بتعال.»

شرح بصبر: «أنا لم أقل انك فعلت، قلت انك تبدين كذلك.»

بدأت بالقول: «وكأنني لم اعد انتمي الى العنصر البشري. حسناً، لقد كانت مجرد...» وقطعت كلامها بسرعة وهي تعض شفتها.

سألها بنعومة: «سنة؟»

صفقت المكواة على اللوح، وحدقت فيه قائلة بغضب: «لا اصدق، لقد مضى على وجودك هنا اسبوع فقط، واصبحت...»

أكمل عنها: «اعرف كل ما يجب ان أعرفه عنك؟ انها قرية صغيرة يا هيلاري، والناس يتكلمون.»

أقرت بمرارة: «تعني يثرثرون!»

أصر قائلاً: «حسناً! ثرثرة، ولكن لم تكن بقصد أذيتك، فهم مهتمون بك. نعم، هم كذلك.»

«حسناً، وحتى إذا كانوا كذلك، فهذا لا يعطيك الحق بان تحشر انفك في حياتي!»

اعترف بلطف: «حقاً؟»

آه، الرأي، فكرت مهمومة، كيف يمكن ان تتفاهم مع رجل يوافقك رأيك دائماً؟

توسلت اليه قائلة: «فقط ارحل، هل يمكن؟ أرجوك؟ أريد فقط ان اترك بسلام، أنا أحتاج للوقت...»

«لقد أخذت وقتك، كم تحتاجين أكثر؟ فأنت لا تستطيعين ارتداء الحزن دائماً.»

اجابته مدافعة عن يأسها: «أنا لا أرتدي الحزن! وهل يمكن ان تتوقف عن الادعاء بالإهتمام بي؟ والعذر الوحيد لتدخلك غير المباح هو الضجر! وما هو الفظيع في إرادتي

البقاء وحيدة؟ وارادتي في ان أصبح افضل انسانة لا تحب ان تتأذى؟»

«لا شيء، ولكنك في خطر من ان تحولي حياتك إلى نموذج فني. فلا تستطيعين ان تمضي بقية حياتك محاولة الفرار من صداقة فاشلة. الحياة تمضي يا هيلي.»

«أعرف أنها كذلك! وأنا أحياها! أو أحاول ذلك ولكن لدي فرصة اكبر للنجاح إذا لم يحاول الناس ان يعرفوا المأساة كلها في العلن، أريد نسيانها وليس اعادة احياءها واذا ما كنت اشعر بالانزعاج، اريد ان افهم، لماذا تصر على ملاحقتي؟»

سألها بابتسامة مرحة: «هل باعتقادك لأنني أحب تعذيب نفسي؟ ولكن بما انني فتحت الموضوع...»

«آه، والآن ماذا؟ حسناً، هيا استمر؟» وعندما بقي صامتاً، اصرت قائلة: «ماذا؟»

«شعرك.» وعندما رفعت هيلاري رأسها بتوسل بدأ يقول:

«عليك بتركه منسدلاً هكذا دائماً، فهذا يجعلك تبدين أجمل أكثر. وعندما ترفعينه إلى قمة رأسك يجعلك مثل تلك المرأة من جنوب الباسيفيك.»

سألته: «لما لا أضع كيساً فوق رأسي؟ عندها لن ينزعج من مظهري احد.»

وافقها بحماس: «آه، هذه فكرة جيدة.»

ابتسمت هيلاري باشمئزاز: «هذا أفضل.»

قال ليو: «والآن تبدين...» اومأ برأسه دون ان يكمل جملته، بل قال: «في الواقع، من الصعب عليك تصديق ذلك،

ولكنني اتيت لسبب.» وحرك يده من وراء ظهره، وأظهر وعاءاً صغيراً وسألها قائلاً: «سكر؟»

وبتعبير متجهم اومأت انه في الخزانة ثم قالت: «كما تعرف تماماً.»

فتح الجزء الاعلى من الخزانة القريبة منه، وأخذ كيس السكر وعبأ الوعاء بانتباه قبل ان يعيد الكيس الى مكانه. واحنى كتفيه العريضتين على إطار الباب، فجأة اعاد نظره إلى هيلاري.

اخبرها: «ابن شقيقتي قادم.»

سألته باستهزاء واضح: «كم هذا لطيف، تحتاج السكر لصنع الحلوى، أليس كذلك؟ وأنا افترض انه لا يوجد لديك طحين ايضاً.»

«آه، نعم، عندي طحين يا هيلي.»

«هيلاري. اسمي هيلاري.»

فوافقها بهدوء: «هيلاري.» بصوت مليء بالمرح تابع: «ولكن، إذا استطعت تدبير القليل من بودرة الكاسترد..؟»

انفجرت بسخط: «الا تشتري اي شيء أبداً؟»

تمتم: «حسناً، نعم.» واستغرق بالتفكير وكأنه اخذ سؤالها على محمل الجد، ثم قال: «اشتريت بعض الأشياء.»

صرخت غير قادرة على الصمت: «لا تفعل، لا تعطني لائحة بمشترياتك فلقد كان مجرد سؤال!»

بدت عيناها تعكسان ارتباكها والمها. وطالبته بيأس: «لا أريدك هنا.»

اعترف برقة: «أعرف.» حدقت به غير مصدقة.

«إذاً لماذا؟ لماذا تفعل بي هذا؟» وحدقت بالعينين الرماديتين. نسيت كل شيء عن اسباب بقاءه هناك. نسيت كل شيء عدا هذا المستفز الذي كان يدمر ببطء ولكن بالتأكيد سلام عقلها، وزفرت: «لماذا؟»

«لأنه...» ونظر بسرعة إلى اسفل وبدا أنه غير رأيه. ومد يديه بيأس: «فقط بسبب...»

سألته: «لأنك تشفق علي؟»

«أشفق عليك؟ كلا! فما استطيع استنتاجه انك تخلصت جيداً من السافل!»

تباً، لقد عرف ذلك! ولكن ان تتخلص منه جيداً وان تنساه امران مختلفان تماماً.

ابعدت عينيها، حدقت إلى لوح الكوي، ثم ولأنه لم يكن امامها بديل آخر، بدأت تحرك المكواة على مهل فوق البلوزة، ووجهها ممتعض.

شجعها بلطف: «هيا يا هيلي، اخرجي من قوقعتك قبل ان يفوت الاوان.»

انكرت بتبرم: «أنا أريدك فقط ان تذهب يا سيد، حسناً، مهما يكن...»

غص بضحكته قائلاً: «ليو.»

عندما رفعت نظرها متعجبة، وجدته رافعاً إحدى حاجبيه بانتظار ان يصدر منها اي تعليق ساخر، ولكنها لم تفعل. وإلى جانب ذلك، لم تستطع التفكير بشيء. لو تعلم فقط لماذا هو مصمم إلى هذه الدرجة على مواجهة فظاظتها؟ هذا ما أرادت معرفته فقط.

بدون ان يقول اي شيء آخر، أرخى منكبيه العريضتين

على إطار الباب وكأنه قد استقر عليه لبقية اليوم. وفكرت انه ينظر إليها منتظراً اياها ان تتكلم مجدداً.

اطبقت شفتيها خائفة ان تتحركان بالرغم منها، ووجدت عندها انها لا تستطيع تحمل هذا الصمت الآن.

استفزته بغطرسة: «إذا لم يكن هناك اي شيء آخر، أنا متأكدة أنه لديك الكثير من الأعمال اليوم لتقوم بها قبل وصول ابن شقيقتك.»

ارتاب واندهش قائلاً: «ابن شقيقتي؟ نعم، ابن شقيقتي.» ولمعت ضحكته في عينيه. وبابتسامة بطيئة اعطت لوجهه سحراً غير معقول حمل الوعاء، ولوح بيد واهنة، ثم استدار على عقبيه إلى الحديقة.

اطلقت تنهيدة صغيرة، واعادت المكواة إلى مكانها بيد تهتز. لماذا لا تستطيع ان تتجاهله؟ استغربت بيأس. لم تكن تريد تدخله المستمر بحياتها، ولا معرفته بها. وفصلت الكهرباء عن المكواة بغضب حيث انها شعرت بالتوتر والعصبية ولم تكن ترغب بالاستمرار في الكي. ربما عليها ان تذهب للتنزه. وربما تبحث عن بعض قطع الاخشاب على ضفة النهر، ان كان عليها تكملة بعض لعب الاطفال خلال فترة الثلاثة اسابيع التي تقضيها بعيداً عن وكالات السفر. وهذه اللعب التي تصنعها هي قطع ناعمة الملمس من الخشب وصغيرة منحوتة بلطف وتطليها بنفسها لتمسك براحة اليد بسهولة، والتي كانت لدهشتها وسرورها قبلتها مستشفى اعادة التأهيل الكبيرة الخاصة بالمكفوفين والمختلين عقلياً.

فلطالما استمتعت هيلاري بالعمل اليدوي وحصلت على

اكتفاء كبير من تشكيل اي مادة تقع بين يديها، من خشب او صلصال او طين. وبالصدفة استعملت خشب الصناديق وخشب الورد اللذين يسهلان العمل اكثر من اي نوع آخر من الخشب او الحجارة.

ولقد تحولت هذه السعادة البسيطة التي ساعدتها في ابعاد تفكيرها عن مشاكلها، إلى طريق طويل يساعدها في اعادة شتات كبرياؤها المجروحة الآن. فكون هيلاري مفيدة للمجتمع، ولو بطريقة بسيطة، كان سند رائع لتدعيم ثقتها بنفسها.

وابعدت ليو المزعج عن تفكيرها. صعدت بخفة إلى الطابق الأعلى لتجلب سترة سميكة من الصوف وتنتعل حذاءاً ثقيلاً قبل ان تمضي إلى حقل المستنقعات وراء البيت في اتجاه ضفة النهر.

بينما هي تتجول على مهل وعينيها على الماء العكر، رأت فجأة جذعاً ثقيلاً بدا وكأنه من البلوط. التقطت بعض الجذوع لتتمسك بها وانحنت بانتباه لالتقاط ذلك الجذع. وما ان لمسته حتى انزلقت احدى قدميها وافقدتها توازنها. وبدون سابق انذار تعثرت ووقعت في الماء الموحلة.

بتعبير قرف دفعت نفسها على ركبتيها ورمت بذلك الجذع أبعد ما استطاعت غاضبة من غبائها. وزحفت إلى الامام لأن ذلك كان افضل من محاولة الوقوف على قدميها، وبعينيها الجزعتين رأت قدمين.

رفعت رأسها إلى الأعلى لترى ليو واقفا يمد يده اليها، تراجعت ثم تمتمت بالشكر وقالت له: «إذا ما تجرأت على الضحك سوف اقتلك!»

فابتسم لها ورفعها إلى حافة النهر. حاولت الوقوف بوهن على قدم واحدة، بينما حاولت البحث عن فردة حذاءها الاخرى. ولم يكن باستطاعتها سوى مراقبتها وهي تغوص على مهل.

رائع. فهي تشعر بالغباء والبؤس ومبتلة تماماً. فسترتها الصوفية تزن عشرة أضعاف وزنها بسبب ثقل المياه، وحدقت امامها بليو يساعدها بطريقة رائعة للعودة إلى اليابسة.

لماذا، لماذا يجب ان يكون هو من يجدها؟ وحدقت براحتي يديها الملطختين بالوحل، فادركت في الحال كيف تبدو وأخذت تقهقه.

أدارت رأسها وحدقت مباشرة بعيني ليو. لم تكن تعي كم بدت رائعة، ولكن تدريجياً عندما لاحظت عدم استجابته، عادت لوعيها. وبدت عينيها مهمومتين من جديد. نظرت للبعيد مذهولة بسبب شعورها بالأذى وصرخت عندما رفعها عالياً بين يديه القويتين. «انزلني.»

مانعها بقوله: «لا تكوني طفلة يا هيلاري، فأنت لا تستطيعين السير بحذاء واحد.»

«طبعاً استطيع.»

توقف محدقاً بوجهها الثائر. وعينيه الرماديتين هادئتين. وشرح لها بصبر: «ليس فقط بحقل مليء بالزجاج المكسور والحاد، بل صخور ايضاً، ومن يدري ماذا هناك أيضاً، هل تريدين ان تجرحي قدمك؟»

«طبعاً لا، ولكن...»

«ولكنك لا تحبين ان ألمسك. أنا أعرف.»

بسرعة احنت رأسها ناظرة إلى الأسفل. إذاً فهو يعرف انها تكرهه. وهل يعرف أيضاً لماذا؟ وأن الشعور بيديه القويتين يجعلها صغيرة؟ احست بالاحراج من الرائحة الكريهة التي تنبعث من ثيابها واغلقت عينيها بانهزام. وفي تعاستها لم تلاحظ إلى أين يأخذها، إلى أن وصلا إلى عتبة باب بيته الخلفية.

عندما توقف وانزلها برفق تمتمت بسرعة: «شكراً لك، استطيع السير بسهولة إلى البيت من هنا.»

لم يوافقها قائلاً: «لا تكوني سخيفة، سوف تموتين فليس عندك مياه ساخنة.» وقبل ان تستطيع ايقافه فتح الباب الخلفي ودفعها الى الداخل ونزع حذاؤه الوسخ، ثم اتجه ناحية حمالة المناشف البعيدة في المطبخ القديم الطراز.

وعاد بمنشفة كبيرة وبسطها على الأرض. ثم قال: «لا داعي للقلق من ان تحدثي فوضى. اخلعي حذاءك وقفي على المنشفة.»

احتدت قائلة: «لم أكن...» ولكنها وجدت نفسها تتكلم بدون فائدة إذ انحنى على الارض ونزع حذاءها. وكانت مذعورة إلى درجة انها وقفت كالبلهاء، وبعدها، وضع منشفة في يدها وكانت بمنتصف الطريق إلى البهو.

قال لها برزانة: «غرفة الاستحمام في الاعلى. لا تتأخري. سوف أحضر الشاي.» وبدفعة صغيرة اخرى اغلق باب المطبخ وراءها.

لم تكن تملك اي خيار، وفكرت باكتئاب وللحظة، في ذلك الحقل حيث شعرت بنفسها على حقيقتها كما كانت من قبل،

الانسانة التي كانت قبل ان يدخل ريان إلى حياتها. هل سيتأذى ليو لو شاركها بضحكها؟ ربما ابتسم؟ ولكن للحظة في المطبخ ظنت بانها اخذت انطباعاً بالسرور مرسوماً على وجهه، وكأن هناك شيئاً ابهجه، ولكن لماذا عليه ان يفعل؟

شعرت بالحنق من نفسها لأنها حاولت تحليل سلوكه.

عندما وصلت إلى اسفل السلم ترددت غير متأكدة للحظة، ولكن بعد هزة من رأسها تقدمت ناحية النار الموقدة حيث كان ليو يجلس قبالتها. وشعرت بانطباع القوة، نوع من الغطرسة اللاواعية التي تبدو واضحة عليه فقط عندما يدير رأسه. ونظرت بسرعة بعيداً عندما منحها ابتسامة صغيرة مرحة.

«تبدين مثل عليقة طفل صغير.»

قالت مقطبة: «عليقة طفل؟ شكراً. مع انني أفترض انه علي ان اشكرك انك لم تشبهني بالكيوي.»

«انها من نيوزلندا.»

«أنا أعرف من أين هي يا ليو! لا أحتاج إلى درس بالجغرافية.»

أثارها قائلاً: «لست كذلك؟ حسناً، ولكنني اردت ان أشير انني بالكاد استطيع تشبيهك إلى طير أو عصفور من نيوزلندا عندما اكون من استراليا.»

رددت بتقطيب: «استرالي؟ ولكن في محل سيد جرين ذكروا انك من اوكلاند.»

اعتذر بخفة: «حسناً، أنا آسف.» وعيناه تلمعان بمرح. «ولكنني قطعاً استرالي. هل يهم ذلك؟ ألا تحبين

النيوزلنديين؟ هل هذا هو سبب عدم شعورك بالتعاطف معي؟»

سألته وتقطيبتها تزيد على وجهها: «ماذا؟ كلا، طبعاً لا! لا تكن سخيفاً! فقط لم اكن اعرف. هذا كل شيء.» ولكنه كان يهم، آه، لماذا كل مرة تكون مع هذا الرجل تفقد صوابها؟ ولكنه إذا كان استرالياً...

أشار اليها قاطعاً حبل أفكارها: «تعالي واجلسي قرب النار لتتدفئي.»

بتنهيدة مهزومة ذهبت لتجلس على المقعد الجلدي المواجه للمدفأة.

سألها بهدوء: «كم يوم بقي من اجازتك؟»

تمتمت بدون ان تنظر اليه: «أقل من اسبوعين.» وتساءلت بتشكك لماذا أراد ان يعرف، ادارت رأسها وسألته: «لماذا؟»

«لا يوجد سبب معين، مجرد فضول، اوه يا هيلي، هل من الصعب جداً التكلم معي.»

احمر وجهها لشعورها بالذنب. اعطته اعتذاراً هادئاً: «أنا آسفة. لقد تخليت عن عادة التكلم مع الناس.»

فشجعها بلطف: «إذاً هذه فرصة لكي تتخلي عن هذا الامر.» وتابع بنفس الصوت الهادىء: «إذاً، سوف تعودين إلى العمل في خلال اسبوعين او نحو ذلك، وبعدها إلى أين؟»

سألته باندهاش: «ماذا؟»

«لقد قال الكولونيل انك تعملين بوكالة سفر كمعاونة في الاماكن الاجنبية اني اتساءل فقط إلى أين ستذهبين بعد ذلك.»

«أوه.» لقد وثقت بالكولونيل لتعطيه كل تفاصيل حياتها، ويقولون ان النساء تثرثر! «لست متأكدة تماماً، روما كما اعتقد، فالوكالة تفكر بالبدء برحلات ثقافية ـ روما، أثينا، وعلي ان أدقق في الفنادق، وتسهيلات الرحلات فالايطاليين يحبون ادارة رحلاتهم الخاصة مثل دكان صغير. لذا انا بحاجة لايجاد مستخدم يريد ان يأخذ سياحاً اكثر. ومن الظاهر انها تزدحم في منطقة مدرج روما الاثري الكولوسيوم.» وعندما ضحك استدارت وابتسمت.

«حسناً، طالما انه لن يرميك أحد للأسود.»

وافقته قائلة: «كلا.»

تابع بهدوء: «وبعدها إلى أثينا؟»

«ربما، لست متأكدة بعد ـ فالأمر مازال مجرد تجربة فقط ولقد طلبوا مني ذلك لأنني اعرف روما جيداً، اما أثينا، فلا أعرفها بتاتاً.»

قال لها: «انها حقاً تستحق الزيارة ولكن ليس في منتصف فصل الصيف فهي حارة جداً.»

«ومختلفة عن استراليا؟» وقد تورد خداها عندما نظر اليها نظرة فضول.

«الحرارة في استراليا أعلى. سوف اذهب لأسكب الشاي هل تريدين سكر؟»

«قطعتان، لو سمحت.» ونظرت اليه، وقد ارادت ان تغيظه بسبب السكر الذي استعاره قبلاً، ولكن لو فعلت ذلك فسوف يكون نوع من الاعتراف بأنه كان محقاً بشأن سلوكها. وبابتسامة صغيرة اثبتت انه عرف تماماً بماذا تفكر.

خرج من قاعة الجلوس، فأخذت تؤنب نفسها وطالبتها

بان تكون اكثر عفوية، ولكن مضى وقت طويل منذ ان تحادثت مع أحد ما، وهي الآن تشعر بالضعف والوهن منذ ان تكلمت، وضحكت، واغاظته، وسألته من اين يأتي وماذا يفعل. والآن وجدت انه من الصعب جمع طاقاتها للهرب، لقد أرادت فقط ان تفر إلى بيتها. ولوحدة وجودها. وعندما عاد، حاملاً فنجانين، أخذت فنجانها بطريقة آلية وحدقت في السائل.

سألها بهدوء عندما جلس على المقعد ممسكاً بفنجانه بين راحتيه الكبيرتين: «أهلك وشقيقك في استراليا، اليس كذلك؟» شعرت برجفة الخشية تسري في عروقها، حدقت به، هل هذا هو اللغز في الأمر؟ هل هذا ما كان يسعى اليه طوال الاسبوع؟ ولكن مع ذلك كان وجهه يحمل تعبير فضول المعرفة.

اعترفت بصراحة: «لقد انتقلوا منذ حوالي السنة، عندما ذهبوا إلى عرس شقيقي مارتن وقرروا البقاء هناك.» ولو انها لم تقابل ريان، ريان ذو الابتسامة الحلوة، ريان الطبيب، ربما لكانت معهم الان.

سألته بتشكك: «لماذا أردت ان تعرف؟»

قال بسهولة وهو يرتشف الشاي: «لا يوجد سبب.» وكانت عيناه تراقبانها بانتباه من فوق حافة فنجان وتابع: «مجرد فضول، أحدهم ذكر ذلك، هذا كل شيء.»

سألته: «من؟ الكولونيل من جديد؟»

نكر بلطف: «لا أذكر. ولكن إلى أي قسم ذهبوا؟»

قالت بعدم اكتراث: «الشمالي الغربي، طريق بورت هيلاند. لماذا؟ هل تعرف المنطقة؟»

تمتم بلا مبالاة ظاهرة: «سمعت عنها، تريدين المزيد من الشاي؟»

قالت باختصار: «كلا، شكراً لك.»

قال ليو: «لقد جف شعرك.»

هل انها تعاني من هوس الاضطهاد؟ استراليا مكان كبير. وليس هناك من سبب حقيقي لافتراض انه يعرف اهلها. ولكن مع ذلك، لماذا لديها انطباع ان هناك يد خفية تديرها؟

«لكن حذاءك لا يزال مبتلاً...»

«حسناً، لا يهم، انها مجرد بضع ياردات وأصل إلى البيت.»

قال برقة: «ولكن لا يوجد حاجة للازعاج إذا كان باستطاعتك تجنبها. سوف أخرج السيارة.»

كانت لا تزال تحدق فيه حين سألته فجأة: «هل تعرف اهلي؟»

سألها: «أعرفهم؟» وتقوس حاجباه باستغراب: «لماذا علي ان أعرفهم؟»

تنهدت قائلة: «لا أعرف.»

سألها بلطف: «انت مشتاقة إليهم، الست كذلك؟ فأومأت بتعاسة.

«إذاً لماذا لا تذهبين لزيارتهم؟»

ردت مدافعة: «سأفعل.» في يوم ما، حين تملك مالاً كافياً. والحقيقة انه لم يكن باستطاعتها الذهاب إلى لندن فكيف الى استراليا.

تابع بقصد: «هل يعرفون عن ريان؟ وانه قد احبك وهجرك آخذاً معه كل مدخراتك؟»

حدقت فيه مذعورة وانفجرت قائلة: «لقد كان الكولونيل مشغولاً بالثرثرة أليس كذلك؟ هل تقوم القرية كلها باخبار اي غريب يأتي إلى هنا كل شيء عني؟ ويذكرونني وبأنني شيء مستهجن.»

امتلأت عيناها بالدموع، وانتفضت مبتعدة عندما حاول وضع يده بلطف على كتفها قائلة: «أريد ان أذهب إلى البيت!»

الفصل الثاني

عند وصول هيلاري إلى الباب الخارجي سألها ليو بهدوء: «جاهزة؟»

«نعم، هل نذهب؟»

رافقها إلى الخارج بعد ان جال ببصره عليها وساعدها بالدخول إلى سيارة اللاند روفر.

غرقت هيلاري في المقعد، وحدقت من خلال الزجاج، وأفكارها عند عائلتها البعيدة. لقد جعل ليو الأمر سهلاً. اذهبي، ولكن كيف لها ذلك؟ كيف لها ان تعترف انهم كانوا محقين بشأن ريان؟ وأنه لم يكتف بسرقة مدخراتها، ولكن المال الذي ورثته عن عمتها جاين؟ لقد كانوا قلقين بشدة عليها، ولكن ما الذي يستطيعون فعله وهم بعيدين آلاف الأميال عنها، لو أنها اعترفت في البداية لما كان الأمر بهذا السوء الآن، ولكن كيف يمكن أن تخبرهم الآن؟ بعد مضي حوالي السنة؟

قال ليو حين انسل إلى داخل السيارة بجانبها: «المكالمة الهاتفية هي كل ما يلزم يا هيلاري.» وتابع ويداه مرتاحتان على مقود السيارة ووجهه مستدير ناحيتها: «او ربما رسالة.»

مانعت بفظاظة: «كلا.»

«لماذا؟ اني لا استطيع ان افهم لماذا تشعرين بالخجل عندما تكونين انت الضحية البريئة...»

نكرت بحدة: «أنا لا أشعر بالخجل، فقط لا أريد ان اتكلم عن هذا الأمر.»

«هل المال هو السبب؟ أو انه توقف عن حبك؟»

انفجرت غاضبة وقالت: «لم يتوقف عن حبي ابداً لأنه لم يحبني قط! ربما لو احبني لكان الأمر اسهل علي لاحتماله، وسبب دعوته لي للخروج معه، يا عزيزي ليو، انه سمع بعض الفتيات في الوكالة يتكلمن عن المال الذي تركته لي عمتي جاين. اليس هذا رائعاً؟ ألم أكن محظوظة؟»

سألها محتاراً: «اين سمع بهذا؟»

أجابته قائلة: «في المقهى قرب الزاوية القريبة من المكتب. هل تعرف؟ أراهن ان نصف جرائم السطو والقتل تبدأ في تلك الأمكنة، في المقاهي. الناس يسمعون المناقشات، ماذا اشترى الناس، والمال الذي بحوزتهم، والناس متهورين جداً! كل ما كان عليه فعله هو تعقبهن إلى الوكالة، ويدخل كمن يريد حجز بطاقة لقضاء العطلة، وهناك كانت هيلاري المغفلة جاهزة وبانتظار الوقوع في الحب، هيستيري، هه؟»

قال لها: «كلا يا هيلاري، ليس هيستيرياً على الاطلاق. تابعي.»

سألته بمرارة وهي تحدق بالزجاج المبقع بالطين امامها: «اتابع؟» وتساءلت بعنف: «كيف استطعت ان اترك السافل يوقعني في غرامه؟ كيف اخذت بكلامه؟»

«لأنه ذكي. هل تعتقدين انك الوحيدة التي تخدع من قبل المحترفين؟»

«كلا، بالطبع لست كذلك، ولكن، اوه يا ليو، لقد كان طيباً

جداً! دعاني للخروج، وكنت اكثر من ممتنة للقبول. طويل، اسمر البشرة، ذو شعر ذهبي، عيناه مليئتان بالصدق والمرح وقد فكرت انه رجل دافىء وكريم. وهكذا كان، ولكن على حساب الآخرين. وقد عارضني بشدة لأنني رفضت فكرة الخطوبة بعد فترة قصيرة من تعارفنا. وهوّن علي مخاوفي من ترك اهلي، فقد قال اننا نستطيع ان نوفر المال ونذهب لزيارتهم. وهكذا ارتبطنا وسافر اهلي إلى استراليا، وقد رأى بيتاً صغيراً نستطيع شراءه وهو ليس بعيداً عن مربط قاربه.»

قالت هذا باحتقار مع قليل من الاشمئزاز. وتابعت: «لقد كان يستأجره، وطبيعي انه لم يكن يملك المال لشراءه. اوه، قلت له بسرور استعمل مالي الخاص. وهذا ما قام به طبعاً وقد سجل العقار باسمه. وهكذا عندما باعه من دون ان اعلم، لم استطع فعل شيء، لقد كان الأمر قانونياً تماماً! وبعدها قمت بمتابعة ما بدأت به بغباء فلقد اثثت ذلك المكان وانتقلت إليه!»

استنتج ليو بهدوء: «وعندما عدت من الرحلة التي اخذت بها مجموعة سياح حول باريس. وجدت البيت قد دمر.»

«نعم.»

فسألها بهدوء: «كيف؟»

استغربت سؤاله وقالت: «كيف. ماذا تعني بـ كيف؟»

«حسناً، ليس من السهل هدم عقار.»

انفجرت قائلة: «ولكن ليس عندما يكون غير آمن.»

أصر قائلاً: «وهل كان كذلك؟»

وبحركة غاضبة من يدها قالت بحدة: «وكيف لي أن اعلم؟»

مالت إلى الوراء وقالت بهدوء اكثر: «لم يبد غير آمن، ولكنه قام بتخطيط المكان، وحتى لو لم يكن المخطط موافقاً معه، كتب التقرير من أجل ذلك. ولهذا لم نستطع أن نأخذ رهن عقاري أو هكذا قال. وبإحساس داخلي. بدأت اقلق. ولكن مع ذلك كلف اكثر بقليل من ثمن الأرض. مساومة حقيقية. وهكذا إذا ما أعدنا بناءه بأسلوب افخم نستطيع ان نكسب الكثير عندما نبيعه. مع أنه كيف لنا أن نعيد بناؤه، لم يكن لدي أي فكرة، ولكنني كنت كلما استوضحت شيئاً كان يضحك فقط ويقول، دعي الأمر لي.»

«وهذا طبعاً، ما قمت به، لأنك وثقت به.»

«نعم.»

«إذاً لم تتفاجيء تماماً عندما وجدت الأمر كله قد ذهب؟»

قال لها «كلا، اعتقد انني لم اتفاجيء ليس في البداية. كنت فقط منزعجة من قيامه بذلك بينما أنا بعيدة، وافترضت انه وجد لنا مكاناً آخر نعيش فيه بينما يتم إعادة بناء منزلنا. ولم آخذ وقتاً طويلاً لأكتشف عكس ذلك. لم يكن هناك من مكان اقامة آخر. ولا يوجد أي أثر لريان، لم اكن املك أي مال، ولا ملابس، أو مقتنيات، لا شيء. وقد قدمت شركة تتولى تصفيات المنازل بتنظيف المكان قبل هدمه. والشرطة كانت لطيفة معي، ومتعاطفة، حتى ولو انهم لم يقولوا ذلك. ولكن كان من الواضح انهم فكروا بذلك مغفلة. أوه، بدا الأمر ظاهر عليهم. ورغم كل ذلك، كان قد سرق اغراضي. ولكن هل كنت لأقاضي.. حبيبي؟ ولو لم يعطني الكولونيل هذا البيت مقابل أجرة ضئيلة، فمن يعلم اين كنت الآن.»

«وكيف تدخل الكولونيل بهذا الأمر؟»

أجابته: «عندما عدت ووجدت ان المنزل قد هدم، كنت مذهولة ويائسة. فسألت عن الأمر في القرية. وانتشرت القصة الحزينة في القرية. وقد ارسل بطلبي الكولونيل، وها انذا.»

«هكذا كتبت لعائلتك. مدعية ان كل شيء على ما يرام؟ الم يندهشوا لِمَ لم تتزوجي من ريان ابداً؟»

قالت: «طبعاً اندهشوا.» واعلمته انها لم تنوه عنه في رسائلها الاخيرة.

عندما قام ليو بحركة صغيرة، عادت فجأة إلى الحاضر واحست بهلع من أنها افرغت كل ما في قلبها لهذا الجار الغريب. وقالت بصوت هامس وهي تعض شفتها: «هل نذهب الآن؟» وكرد على سؤالها، ادار المحرك واوصلها بسرعة وهدوء إلى بيتها.

تمتمت هيلاري بغير اكتراث. «شكراً.» التقطت حذاءها المبلل وركضت إلى الداخل، واغلقت الباب بسرعة خلفها ثم اسندت نفسها عليه، واحست بالدموع تفيض في عينيها. صعدت إلى غرفة نومها مهمومة. جلست على حافة السرير ورأسها بين يديها. وقد جلب حديثها مع ليو كل الذكريات من جديد. الألم، اليأس، والانفصال المؤلم مع عائلتها وكل هذا بسبب ريان.

فمنذ المرة الأولى التي رافقها لمقابلة اهلها احست انه لم يعجبهم. لقد كانوا مهذبين، ورحبوا به، ولكن لم يثقوا به. وريان لم يحبهم ايضاً. والدتها لم تدعوه باسمه، كان هذا التصرف يدل على انها لا تحب ذلك الشخص، زوج والدتها

مايك، كان الشخص المحبب ولكن حتى هو عامل ريان بجفاء تقريباً.

وإذا كتبت لهم الآن لتخبرهم انهما انفصلا، فسيتوقعون عودتها إلى استراليا، وكيف لها ذلك وهي بدون مال؟ لم تخسر فقط مدخراتها بل وحتى ثروة عمتها جاين، والمال الذي وضعه مايك في يدها كهدية زواج مبكرة.. لو استطاعت الاعتراف بغلطتها في البداية لكان الأمر سهلاً، ولكن كلما مضى الوقت اصبح الأمر اصعب.

ابعدت الذكريات والألم بعيداً ونهضت بتثاقل ثم ارتدت بنطالاً من الجينز الناعم مع بلوزة. ازاحت شعرها إلى الوراء بقسوة وربطته بشريط. وحدقت بوجهها الشاحب بمرآة الحمام، استعادت صورة عائلتها. وتساءلت هل ما زالت والدتها نحيلة؟ او هل بدأت تكسب بعض الزيادة في وزنها! وهل اصبح شعرها الأسود الناعم رمادياً؟ ومايك، هل ما زال طيباً ولطيفاً؟ وشقيقها مارتن؟ هل هو سعيد حقاً بزواجه من تلك الفتاة الاسترالية؟

بتنهيدة طويلة وتعيسة، حملت هيلاري الثياب التي استبدلتها واتجهت بها إلى الأسفل. عندما دخلت إلى المطبخ ترددت مذعورة كان ليو يجلس إلى طاولة المطبخ، وحجمه الكبير يظهر صغر الكرسي الخشبي الذي يجلس عليه، وذراعاه مطويتان على صدره الضخم.

اغلقت عينيها بانهزام، اندفعت نحو الباب قائلة: «والآن ماذا؟»

تراجع إلى الخلف فاهتزت الكرسي تحته، وكان يحمل ساعتها يلوح بها، فرمت ثيابها المتسخة على الأرض،

ومشت باتجاهه لتأخذها، الا انه ابعدها عن متناول يدها فصاحت به بانزعاج: «أنا لست في مزاج للعب يا ليو، فإما ان تعطيني اياها او لا.»

بابتسامة بطيئة اعادها إليها فانتزعتها من يده، وتمتمت بدون امتنان: «شكراً لك.»

«بكل سرور، اعتقدت انك ربما تحتاجينها، او تفتقدينها إذا كانت ثمينة، أو اذا كانت ذات قيمة معنوية.»

نظرت إليه بحدة وادارت له ظهرها لقد كانت بالنسبة لها قيمة خاصة. فلقد اهدتها والدتها هذه الساعة عندما بلغت الحادية والعشرين.

ابتعدت عنه ووضعت الساعة على الرف فوق حوض الغسيل، وانحنت بعد ذلك لتضع ثيابها في الغسالة. فإذا كان غليظاً إلى درجة انه لا يعرف متى لا يكون مرغوباً به فتلك هي مشكلته. وإذا حاولت ان تطرده فإن صراعاً مذلاً سوف ينتج من ذلك وهي لا تريد ان تعطيه هذا الاكتفاء. وعضت شفتها بقسوة لتمنع نفسها من الصراخ في وجهه ليخرج من بيتها.

والهت نفسها بالتفتيش على مسحوق الغسيل وبسبب عصبيتها اوقعت العلبة على الأرض وانتشر المسحوق في كل المكان.

صاحت بغضب: «والآن انظر ماذا جعلتني افعل.» وبعد ذلك اخذت تنظر اليها بتعجب عندما نهض ليو بكسل، وامسك بكتفيها يبعدها عن المكان. وقد شعرت بشيء من الانزعاج وهو يحملها بسهولة فوق الأرض، وعيناه مثبتتان عليها وابتسامته الخفيفة مرتسمة على وجهه، فانتاب هيلاري شعور غريب.

ولسبب لم تستطع تفسيره، وجدت انه من الصعب عليها ابعاد عينيها عنه.

همست من خلال شفتين جافتين: «انزلني.» ولكن فقط بعدما بدا وكأن دهراً قد مر قام بانزالها.

سألها بهدوء: «هل لديك مكنسة ومقحفة؟» وبعد ذلك كشر تكشيرة صغيرة ساخرة لم تستطع تفسيرها. بدا انه يتمتع بذلك تماماً، الأمر الذي جعلها تشعر بالخشية والحذر منه وكأنه يلعب لعبة الانتظار.

قالت له بغباء عندما تذكرت فجأة وبدون سابق انذار كلماته عن ابن شقيقته: «اين هو ابن شقيقتك؟ لقد قلت انه سيأتي لتناول الشاي.»

تمتم: «بالطبع، ولكن وقت الشاي لم يحن بعد.»

سألته بذهول: «ألم يحن بعد؟»

«كلا، سيكونان هنا عمّا قريب، كما اتوقع.»

سألته بحدة: «سيكونان؟»

«سيأتي مع والدته، شقيقتي، فهي تتزوجت من رجل انكليزي، وهم يعيشون في النرويج.»

غمغمت بصوت بالكاد مسموع: «استطيع فعل ذلك.» ونظرت بوهن إلى الخزانة تحت حوض الغسيل، وخطت إلى الخلف عندما انحنى لالتقاط المقحفة والمكنسة.

تمتم بصوت ساخر: «ولكنها غلطتي، انت قلت ذلك.»

بينما كانت تحدّق فيه وهو يقوم بتنظيف المكان دهشت من احساسها بأنه يناورها. لقد كانت حواراً غبياً، والكلمات بحد ذاتها لا تعني شيئاً، ولكن ما بالها ترتجف هكذا اذاً.

نظرت إليه بخشية، وتراجعت لتستند الى الحائط، غاضبة من نفسها بسبب ردة فعلها. واخذت تراقب قيامه بالعمل واعترفت بينها وبين نفسها بأنه حقاً رجل رائع. لكنها لا تريد ان تخطىء مرتين وبنفس الطريقة، فكرت بذلك وهي تبتسم بسخرية.

انها ما زالت تشعر بالضعف والحذر، وليس قبل وقت طويل يمكنها الوثوق بغريب من جديد. رجال مثل ريان، وممثل مثل ليو، لهم اختيارهم الخاص بالنساء، مما يدل على مدى ذكائها لدرجة انها صدقت ريان، فالرجال مثل هؤلاء لا يصادقون فتيات امثالها. لم تكن ذا جمال آخاذ، وقوامها ليس كقوام عارضة ازياء. كل ما كان لديها هو بعض المال. والآن لا تملك شيئاً منه، فقط بعض الذكريات المريرة. إذاً ما الذي يريده ليو؟ أو ربما، كما احست من قبل، ان ما يقوم به كان ناتج عن اصابته بالملل والضجر. ولكن مع ذلك بدا من بنيه الرماديتين بأنه على معرفة بكثير من الأمور.

عندما وضع ليو المكنسة والمقحفة بيديها، اجفلت، فقد انتشلها من افكارها. وبدت عيناها داكنتين وهي تحدق فيه.

تمكنت من القول: «شكراً لك.»

بينما كان يعيد نظراته إلى وجهها المضطرب، قال لها: «انا لا اؤذي يا هيلاري.» وجاء تعبير وجهه غير مفهوم اطلاقاً.

وكل ما استطاعت قوله بهمس: «كلا.»

نظر إليها للحظات طويلة، وبعد ذلك بابتسامة مرحة اخرى تمتم بلطف قبل ان يخرج: «اعتني بنفسك.»

احست انها ترتعش كلياً، وأخذت تحدق في الاتجاه الذي خرج منه، والمكنسة والمقحفة ما زالت تحملهما بيديها بغباء. كانت مشوشة الفكر كلياً، خالية من أي حسّ أو شعور، وعندما استدارت بسرعة انتثر المسحوق الأبيض من جديد على الأرض، فقط اخذته لترميه في برميل النفايات. هل اراد ليو. تقبيلها؟ لكن لماذا؟ لماذا؟ لقد كانت تعامله بقسوة كريهة منذ ان التقيا واساءت الى حسن ضيافته... لقد كان الجنون بعينه. والجنون الأكبر، هو وقوفها هنا تستغرق في احلام اليقظة.

لقد كانت تتوق للسلام والهدوء لكي تستطيع المضي بأعمال النحت خاصتها.

صنعت لنفسها سندويش وفنجان شاي واخذتهما إلى غرفة عملها. فتحت الباب، ووضعت وجبتها على المقعد لترتدي ثوب العمل، وتهيّأت لتبدأ بلمس الأشكال التي نحتتها قبلاً لكن ومع أنها كانت تقوم بشيء تحبه كثيراً، لم تستطع ان تمحو نكرياتها.

ريان، بوسامته، ومرحه، وعيناه الزرقاوان الرائعتان، وبشعره الأشقر الذهبي والأمر الذي كانت تخشاه كثيراً، هو انه لو عاد غداً، لا تعتقد انها ستكون منيعة ومحصنة بالرغم من كل ما فعله معها. أرادت ان تكرهه، ومن ناحية ما تمكنت من ذلك ولكن من ناحية أخرى كانت ما زالت تريده. وبدا هذا اسوأ عمل ممكن القيام به، وهو الرغبة برجل يعتبر الحقارة ذاتها.

فكرت بيأس: «آه، يا والدتي، لما كان عليك الانتقال؟» لقد كانتا تتبادلان الرسائل الرسمية، كلمات لا عاطفة فيها

خلت من كل ذلك الدفء الذي تقاسمتاه لوقت طويل، فالأمر لا يتعلق فقط بالكلمات القاسية التي تبادلتاها حول ريان، ولكن هيلاري كانت تجد صعوبة في ان تكتب لها عن سبب الكذبة التي تمثلها. ومايك، كان دائماً طيباً معها، يمازحها، ويجعلها تشعر بأنها مميزة وكأنه يحاول التعويض عن حنان والدها الحقيقي الذي مات وهي طفلة. لم يرد ان يشعرها بأنها منبوذة عندما ولد مارتن، وفي الواقع لم تشعر بذلك.

إذاً لماذا لا تستطيع اخبارهم؟ ربما سيتفهمون الأمر، هي تعلم انهم سيفعلون ذلك. لكن كبرياءها كان يمنعها. لم يكتف ريان بتحطيم قلبها وثقتها بنفسها، ولكنه حولها إلى جبانة أيضاً.

حين اخذت تعمل ببطء، اصبحت منغمسة اكثر بما تفعله وتلاشت الذكريات واختفت. ابتعدت افكارها عن ريان وعن عائلتها ولم تعد تشعر بمرور الوقت، كان هناك تكات الساعة القديمة في الزاوية لتكسر الصمت. انها هدية من الكولونيل، لكي ترافقها في وحدتها، وقد أصر على ذلك بابتسامته اللطيفة.

كانت رائحة الخشب افضل بالنسبة لها من أي عطر آخر، تملأ الهواء بينما تعمل عليه برضى وسعادة وكانت شمس الأصيل، تنسل عبر النافذة المنخفضة، تستطع فوق شعرها وتعطي لمعاناً لمجموعة الأدوات الموجودة على المقعد الخشبي.

بدت الغرفة صغيرة، ولكن الشعور بالهدوء الذي تمنحه هذه الغرفة تبهجها وتدفئها. للمرة الأولى منذ عدة ايام

شعرت هيلاري بالسلام، وكان الألم والأذى قد دفعا جانبا لفترة.

ان الصوت الخافت، جعلها ترتعب وتنظر إلى الأعلى، فاتسعت عيناها وهي تحدّق بليو باستغراب.

اسرع يعتذر بلطف: «آسف، اعلم انني متطفل، لقد قرعت الباب، لكنني لم اسمع الجواب، آسف.» ابتسامته كانت رقيقة إلى درجة ان الكلمات الغاضبة التي كانت على وشك النطق بها علقت في حنجرتها.

«لقد انقذت فردة الحذاء الأخرى خاصتك.» أضاف وهو يلوّح بها.

عندما لم تجب، واستمرت بالتحديق به بغباء، تابع قائلاً: «إذا وعدت بأن اكون هادئاً كالفأر، هل استطيع أن ابقى واراقبك وأنت تعملين؟»

سألته بصوت ابح وهي تنظر إليه: «مثل الفأر؟»

استفهم متجهماً: «مثل الفيل اذن. ولكن إذا وعدت ان ابقى هادئاً جداً، هل استطيع ان ابقى؟»

لم تعرف كيف يمكنها الرفض دون ان تظهر قلة الأدب، فحوّلت نظرها الى قطعة الخشب التي كانت تعمل عليها، ولكنها شعرت به يجلس في زاوية الغرفة على المقعد الخشبي وذهلت عندما التقط احدى القطع المنحوتة المنتهية.

اختلست النظر اليها بطرف عينيها وهو يطبق باصابعه عليها، كانت سعيدة ومستغربة في نفس الوقت من تعابير الدهشة التي ارتسمت على وجهه.

عندما نظر إليها بعينين ناعستين، جاء صوته وكأنه

غير مصدق، وعبّر عن ذلك قائلاً: «كأنها طبيعية تقريباً!»

أشارت بهدوء: «نعم، اغمض عينيك.» وعندما اطاعها اضافت: «اشعر بها، حركها بيدك، ودع اصابعك تقرأها.»

بينما كان يطيعها دون تردد، اخذت تراقبه وتدقق في ملامح وجهه لأول مرة من معرفتهما. وحاولت ان تفهم ما الذي يشدها اليه احيانا. كان التركيز بادياً على تعابير وجهه، ولم يشكل بالنسبة اليها اي خطر على الاطلاق. كان يتمتع بملامح وجه قوية، عبست قليلاً، فبدا وجهها مفكراً، ثم حوّلت عينيها إلى يدي ليو وهما تكتشفان معالم المنحوتة البيضاوية الشكل.

سألته بهدوء عندما نظر إليها بفضول: «بماذا تفكر؟»

قال بازدراء: «هولندا، نعم هولندا، فمع اشعة الشمس التي تسطع على شعرك فتكسبه حمرة متوهجة تظلل وجهك، تبدين مثل روبين، أو ربما مثل فانديك في عتمة هذه الغرفة بينما رائحة زيت النفط ونشارة الخشب، يعيدانني الى هولندا.»

شرحت مبتسمة: «ما شعرت به من ملامستك لهذه المنحوتة.»

بادلها الابتسام قائلاً: «نعم اعرف.»

وقف وحمل المنحوتة ثم تابع قائلاً: «السلام والدفء، الرضى والاكتفاء، بصورة غير عادية. تستطيعين جني ثروة طائلة إذا ما بعتها لرجال الأعمال. كم مضى لك من الوقت وانت تنحتينها؟»

أجابته موضحة: «ليس من وقت طويل، فقط منذ ان اتيت

إلى هنا، غريب كيف انتهت الأمور أليس كذلك؟ التقيت بالدكتور جوهانسن، رئيس المعالجين الفيزيائيين في المستشفى المحلي بينما كنت التقط الخشب في شاطىء كاتور. تحدثنا، وبدا مأخوذاً بوصفي للمنحوتات، وقبل ان اعرف اين انا رافقني إلى هنا، اختار بعضاً منها ورحل. وبعد بضعة ايام عاد ليخبرني ان ملمسها اعطى السعادة لمرضاه، وجمع بعض القطع التي يهتم بها، وذهب بصندوق مليء منها.»

«وهل تزودينه بها منذ ذلك الوقت؟»

«نعم.»

«إذاً، كان لريان بعض الفوائد.»

هتفت بتعاسة: «ماذا؟ أوه يا ليو، لا تفعل كم مرة يجب علي ان اخبرك بأنني لا اريد التكلم عنه؟»

لكنه اصر بشدة: «كم تحتاجين من الوقت لتدركي ان عدم ذكره سوف يبقيه حيًا في ذاكرتك؟ إذا استمريت بالادعاء بانه غير موجود، سوف تدعينه ينتصر عليك، ان تعاستك هي بمثابة انتصار له.»

«ولكن هذا ما زال لا دخل لك فيه.»

ونهضت بغضب، تقدمت نحوه وانتزعت المنحوتة من بين يديه.

استفزها قائلاً: «اسمعي، حدة اعصابك معي لن تحل مشاكلك، اخرجي من برجك العاجي يا هيلاري، قبل ان يفوت الأوان، قبل ان تتحولي حقيقة إلى امرأة متغطرسة التي كنت للحظة خلت تبدين مثلها.» وبابتسامة ساخرة لشكلها الغاضب الذي يغلفه الصمت، خرج من البيت، فرمت بادواتها

على المقعد بقوة تكفي لتكسرها، اعادت المنحوتة إلى الصندوق وركلته.

كيف تجرأ بأن يدعوها متغطرسة؟ كيف تجرأ؟ وهذا لم يكن صحيحاً ـ فهي ليست متغطرسة اطلاقاً! وماذا حصل للمرح اللطيف السلس الذي كان يمثله منذ قدومه؟ حسناً، لم يستلزم الوقت الطويل لاظهار طبيعته الحقيقية! وبإصرار مفاجيء على أن تكون لها الكلمة الأخيرة، لحقت به. وفتحت الباب الأمامي بقوة، صارخة فيه: «أنا لست متغطرسة! وحتى لو كنت كذلك، فلا شأن لك!»

عندما لم تتلق أي رد، رجعت هيلاري إلى الداخل وصفقت الباب خلفها، يا له من سافل حشري. ولم تكن في مزاج الآن لاتمام عملها، فمشت إلى المطبخ. هذا ليس عدلاً، لما لا يدعها الناس وشأنها؟

شعرت بالدوار وجلست بانهزام إلى طاولة المطبخ، من المحتمل أن يكون الجوع قد سبب لها هذا الدوار، وافترضت انه عليها تناول بعض الطعام، ولكنها في الواقع لا تشعر بالجوع كثيراً.

لقد خسرت الكثير من الوزن خلال العام المنصرم، وهذا الدوران الذي يحدث لها باستمرار، من المحتمل ان يكون تحذيراً لها لأن تتماسك، ولكنها كانت موجات تدعو إلى الاهتمام ايضاً، فلو حدث هذا لأي شخص آخر لكانت قالت له ان يخرج من هذه الأزمة، وان يتوقف عن الشعور بالأسف تجاه نفسه.

كم من السهل تقديم النصيحة للآخرين، فكرت بهذا وهي تلوي فمها ساخرة من نفسها. ربما عليها العودة إلى لندن،

وكالة السفر سوف تنقلها لا محالة لو أنها طلبت ذلك. ومن المحتمل ان يشعروا بالسعادة للخلاص منها، قرع احدهم على الباب الخلفي في تلك الاثناء، فالتفتت بحدة في ذلك الاتجاه.

«آه، والآن ماذا؟» وقفت باعياء وتحركت نحو الباب لتفتحه، وتوقفت هناك فقط، تحدق بعجز.

قال ليو بخنوع: «هاي.»

اغمضت عينيها جزئياً، وسندت بانهزام إلى إطار الباب: «ماذا تريد؟»

عندما لاحظت ابريقاً من العصير في يده، احست بأن اعصابها ستنهار. لا بد أنه ذهب إلى منزله بسرعة، وجاء بهذا الابريق.

سألته: «لماذا؟»

قال بغضب: «اعتقدت انها ربما ستحسن من مزاجك، لقد حاولت ان اكون مهذباً.»

استفسرت غير مصدقة: «مهذباً؟ انت لم تكن مهذباً أبداً! تحسن مزاجي او عدمه لا علاقة لك به. إذا كان هذا لا يعجبك، ابق بعيداً!»

ازدرد بريقه قائلاً: «لا استطيع ذلك.» ودفعها ليمر، ثم مشى نحو المقعد.

سألته وهي تغلق الباب وتسرع وراءه: «ولما لا تستطيع؟»

«لأن الكولونيل طلب مني ان اعتني بك.»

«ماذا طلب منك؟»

اجاب بلطف: «طلب مني ان اعتني بك.» وسكب العصير

في كوبين وناولها احدهما بانحناءة صغيرة ساخرة كادت ان تجعل هيلاري ترمي السائل عليه. هل يعتقد حقاً ان سلوكه حتى الآن ممكن ان يسمى بالاعتناء بها؟ فكرت باستغراب. ونظرت إليه، قائلة بيأس: «ليو، أنا لا اريدك هنا! لا أريد تدخلك المستمر في حياتي اريد فقط ان اترك وشأني!»

«لماذا؟ لأن سافلاً ما خدعك؟ لا تفقدي روحك المرحة، انظري إلى نفسك، هيا، انظري!»

وضع كوبه وكوبها جانباً وأمسك بكتفيها وجرها لتقف امام المرآة متابعاً: «هيا، انظري نظرة طويلة لتعرفي كم أنت قاسية، ومتغطرسة.»

قاطعته بيأس وهي تحاول الابتعاد: «كلا!»

«نعم! انت لا تبتسمين ابداً، وتصدين أية محاولة للصداقة او المساعدة. وتتجنبين القرويين، الذين حاولوا قصارى جهدهم لمساعدتك! وأنت...»

تمكنت اخيراً من الافلات منه، ثم استدارت وضربته، كل الغضب والاحباط والألم اخيراً انفجروا بعمل عنيف كان يخفي الفتور الذي كان رفيقها للأشهر الماضية. حدقت فيه، وقد اغرورقت عيناها بالدموع، حاولت ان تمر من امامه، ولكنها وقعت في قبضته من جديد.

صرخت: «لا تلمسني!»

«لماذا؟ لأنه يذكرك بكل ما خسرتيه؟ انت مجرد جبانة، وأنا لا اعرف لماذا ازعج نفسي بك! انظري إلى هذا المكان الذي يبدو قاتماً وجافاً مثلك تماماً!» ودفعها إلى مكانها على الكرسي، واعاد إليها الكوب.

همست: «لماذا تفعل هذا؟»

قال ليو بصوت مرتجف وبكل بساطة: «لأنني اكره الضياع.»

بدا غير منزعج من سلوكها، راقبته بدهشة وهو يتناول كوبه بهدوء ويجلس على الكرسي امامها قائلاً: «إلى متى ستستمرين بهذا التصرف؟»

«لا اعرف.»

راقبت العصير في كوبها، واخذت جرعة منه مفكرة، ألم يكن لديها على الأقل حرية الاختيار؟ رفعت عينيها، لتنظر الى ليو، ووجدته هو أيضاً يحدق بكوبه، وأفكاره ليست اهنأ من افكارها، احست بهذا من خلال مظهره القاسي. والعلامة الحمراء على وجهه من آثار الصفعة، كانت تختفي وفجأة ارتعبت من غضبها الذي لم تتحكم فيه. قالت له بأسف: «أنا آسفة.»

أجاب: «حسناً، على الأقل كان عملاً إيجابياً.» ووضع اصبعاً على خده ثم تابع: «هذا ما احبه فيك، هيلاري، لا تضيعي من مفعول الكلمات فتصفعينني، من المثير للشفقة انك لم تفعلي هذا لريان.»

وافقته بقولها: «نعم.»

نظرت إليه بذهول لتقول مستدركة: «مثل؟»

اقنعها بنعومة: «اشربي العصير.»

رشفت من الكوب ووجدته طيب المذاق، ثم سألته بهدوء: «منذ متى تعرف الكولونيل؟ لم يقل لي شيئاً حول تأجيره منزله، ولا يوجد سبب لعدم اخباري على اي حال.» أضافت بسرعة: «ولكن يبدو الأمر غريباً بعض الشيء.»

تمتم: «كان مفاجئاً.» ولكنها لاحظت أنه لم يتفوه عن المدة التي عرف بها الكولونيل.

وقبل ان تعاود السؤال اضاف: «هيا، اشربي وإلا سأعتقد انك لم تسامحيني.»

رشفت من العصير مرة أخرى ثم قالت: «هذا ما يهمك أكثر من أي شيء آخر، كم ستبقى هنا؟»

«بضع اسابيع، جئت لزيارة شقيقتي جوين، فهي تسكن في مكان ليس ببعيد عن هنا.»

«نعم، هذا ما اعتقدته.» ثم اضافت تسأله بفضولية: «ما العمل الذي تقوم به؟»

همس بلطف:

«العمل؟» ثم حوّل نظره الى الأسفل واجاب بابتسامة واهية: «أنا اعمل في العقارات، ابيع، اشتري، وهكذا اشياء، هل ما زلت تحبينه؟»

طالبته بحدة: «أوه، ارجوك! هل علينا ان نستمر بالتحدث بشأنه؟»

«نعم، هل ما زلت؟»

أجابت: «لا اعرف.»

لم يسألها أحد هذا السؤال وكأنما لم يخطر ببالهم اطلاقاً انها ما زالت تحبه، حتى انها هي نفسها لا تملك الاجابة على ذلك، لكن ما تعرفه جيداً هو انه كلما جاء ذكره يخفق قلبها بشدة وتابعت وهي تنظر الى الكوب: «لا أعرف، يجب ان لا افعل، يجب ان اكرهه، ففي بعض الاحيان اشعر وكأن ما كان لم يكن حقيقياً، وكأن أي من تلك الاشياء لم تحصل ابداً مع انني اعرف انها حصلت.»

صرح وكأن الأمر لا يهم: «ليس هناك عيباً في أن نحب، هل احبك هو جيداً؟»

همست وكأنها لم تكن متأكدة من انها سمعته جيداً: «ماذا؟»

اوضح سؤاله: «هل كان صديقاً مهتماً؟ ولطيفاً؟»

قالت باختصار: «لا اعرف! لم يكن لدي أي صديق من قبل، فلا يمكنني المقارنة.»

سألها بلطف: «ولا منذ ذلك الحين؟»

«كلا!» فجأة تذكرت حادثة حصلت معها منذ بضعة اشهر مضت، ابتسمت ابتسامة خفيفة وهي تقول: «كدت ان افعل ذلك تقريباً، فلقد دعاني رجل ما في احدى الرحلات للخروج. غريب، أنا لا اذكر حتى اسمه، لا اعتقد انني اعجبت به كثيراً.»

«لكن ذلك ارضى كبرياءك اليس كذلك؟»

لم تفكر بمثل هذا الأمر قبلاً، فقط دفنت هذه الذكرى مع كل شيء آخر، ولكن بالعودة الى التفكير بها الآن، عرفت انه على حق.

بوجه كئيب قالت: «نعم، اعتقد ربما كذلك، خرجنا لتناول الطعام معاً، وعندما اعادني إلى البيت اراد الدخول. وقفت عند عتبة بابي ومنعته.»

علّق بالقول: «يا لك من فتاة سخيفة!»

تجهم وجهها وقالت: «لماذا؟ لقد كانت ردة فعل طبيعية، أليس كذلك؟ لقد تأنيت، فالرجل الذي اعتقدت انه احبني خدعني وسلب مالي، اعترف انه لم يردني من الأساس. كيف تتوقع مني التصرف بطريقة فلسفية؟»

وقفت وقد شعرت بالغضب والأذى من جديد، فلحق بها وربت على كتفها، وعندما نظر في عينيها، وجد انها على وشك ذرف الدموع.

قال لها مؤاسياً: «لا تبكي من اجله يا هيلي، فهو لا يستحق منك ذلك.»

انكرت بثبات: «هذه الدموع ليست من اجله، بل لاجلي.»

«لماذا؟ الأنك لا تشعرين بأنك محبوبة؟»

سألته بخشونة: «ألا يحق لي؟ أو ان الشفقة على نفسي غير مسموح بها؟ لماذا تفعل ذلك بي؟»

قال ببساطة: «اريد ان تعود هيلاري الى طبيعتها.»

كررت بغباء: «أعود؟ كيف ذلك؟ أنت لا تعرف شيئاً عني.»

أجاب بلطف: «ألمس بعض الاشياء منها احيانا. لفتة رائعة، لمحة من المرح تختفي سريعاً، لحظة لا اكثر من ذلك الجمال المتغطرس. أول مرة التقيتك، شعرت في الحال بأنك فتاتي.»

اجابت بارتجاف: «ماذا؟ لا تكن سخيفاً!»

سأل بخفة: «لماذا تعتبرينني سخيفاً؟»

أصرت بعناد: «لأنك كذلك، فأنت حالما ترى واحدة، تعتقد بأنها فتاتك.»

فقال: «لا اعلم لما تظهرين عدم التصديق.»

اشاحت بوجهها عنه وقالت: «لقد تأخر الوقت.»

قال وهو يناولها الكوب من جديد: «اكملي العصير وبعدها اذهبي للنوم.» ثم تحرك نحو الباب متابعاً: «ليلة سعيدة، يا هيلاري.»

تمتمت: «ليلة سعيدة.» هكذا اذاً؟ مهمة مكتملة! تعليمات الكولونيل قد نفذت بحذافيرها!

وشعرت بالكآبة بشكل لا يوصف، وتجولت في البيت الذي بدا وكأنه غارق في الفراغ والوحدة، غريب كيف انها لم تلاحظ ذلك من قبل. ارتشفت العصير، وهي تجول بنظرها حول المكان، انها لم تلاحظ ابداً مدى اتساخ كل شيء إلى ان نبهها ليو إلى ذلك.

عندما انتقلت في البداية إلى هذا البيت لم تهتم بأي شيء، وبالتأكيد ليس ممن يحيط بها، ولو لم يزودها القرويون بلطف بالغ ببعض المفروشات، لكان من المحتمل ان تبقى الغرف خالية. فالمقعدين وطاولة المطبخ كانوا مساعدة من الكولونيل. الفناجين والصحون واوعية الطعام والخزانة، جاء بهم فرانك جرين من محل القرية. الأشياء الوحيدة التي اشترتها بنفسها، كانت هي السرير والاغطية. ثم حسب ميزانيتها اخذت بشراء الملابس الجديدة، ولكن لا شيء آخر ليو على حق فيه، لقد تحولت إلى فتاة انزوائية لا تهتم بأي شيء، وبالكاد تشارك في الحياة حولها. حتى انها بالكاد شكرت القرويين، وصاحب المحل، لكرمهم ودعمهم، مفضلة ان تشتري حاجاتها من نرويش بدلاً من ان تتحمل ثرثرات القرية في الدكان المحلي. كان قد سألها كم من الوقت تحتاجين؟ كم بالتأكيد؟ انهت شرابها، ثم اخذت الكوبين إلى المطبخ.

فيما كانت تصعد إلى غرفتها على مهل، شعرت بالارهاق الشديد فحدقت هيلاري حولها بكآبة. لا تدعيه يفوز عليك، هذا ما قاله ليو، وكان على حق، لأن هذا ما كانت تفعله

طوال الوقت. تشعر بالاسف على نفسها بدلاً من ان تحارب لتعود إلى طبيعتها. لكن لماذا سمحت لليو بأن يستدرجها لتبوح له بمكنونات قلبها؟ اين كبرياؤها؟ لقد كان غريباً، وخلال بضعة اسابيع سوف يعود إلى استراليا. دخلت إلى السرير، وكان وجه ليو في مخيلتها وهي تغفو وليس وجه ريان.

• • •

رأت شقيقته وابنها في صباح اليوم التالي بينما كانت تملأ سيارتها بمنحوتاتها لنقلها إلى المستشفى. لقد افترضت هذا لأنها رأتهما يمشيان مع ليو على الدرب في اتجاهها، ولم تنتظر لتتعرف اليها، بل صعدت وجلست بسرعة وراء المقود، ادارت محرّك السيارة وانطلقت بسرعة، انه عمل جبان بدون شك، ولكن لسبب غريب، ولسبب غير محدد لم ترد التعرف إلى اقربائه. لقد كان متطفلاً كفاية هو وحده. لو ظنت انها تهربت من هذا الأمر، فهي حتماً مخطئة، فليو كان يجلس عند عتبة بابها ينتظرها عندما وصلت.

اطفأت المحرك وأخذت تنظر إليه بحنق. لقد بدا سخيفاً بشكل كبير، وهو يجلس وظهره إلى الباب، وجهه معرضاً لاشعة الشمس الضعيفة، وعينيه مطبقتين. كان يلبس بنطلون جينز رخيص لم يسبق له ان كواه، وقميص رمادي خفيف وكأنه في فصل الصيف ولم يبد عليه انه يكترث للرياح الشمالية القارصة التي تعصف. أي شخص آخر كان سيرتدي الملابس الصوفية السميكة، حتى هيلاري. ان كل

المشاعر المربكة التي حاولت تجنبها ليلة امس عادت اعنف الآن.

خرجت من السيارة وصفقت الباب وراءها بعنف، وعندما لم يتحرك ولم يعط أي إشارة انه شعر بوجودها مع أنه لا بد وسمع صوت السيارة تتوقف، الا اذا كان اصمّ، تقدمت نحوه ووقفت امامه، واخذت تحدق به وكأنها غير موافقة على كل الذي يجري ويدور.

سأل بهدوء وببرود: «هل تتجنبينني يا هيلاري؟» وعندما بقيت صامتة، فتح عين واحدة ليلاحظ وجهها الغاضب.

قالت باستهزاء: «لو اعتقدت انه لدي فرصة واحدة للنجاح في ذلك، لكنت فعلت، كما انك تسدّ علي الدخول الى بيتي!»

قال: «لا بد انك نادمة على الثقة التي منحتني اياها لية امس.» وفتح عينه الأخرى، رأى وجهها الجامد والمستغرب. وقف وابتعد لكي تستطيع فتح الباب بتكاسل، ثم تبعها إلى الداخل.

وقف عند الباب المؤدي إلى المطبخ، وأخذ يراقبها وهي تضع الابريق على النار. سألها: «متى اخبرك ريان انه خرج معك فقط من أجل المال؟»

«ماذا؟»

«لقد قلت ليلة امس...»

«قلت الكثير ليلة امس!»

وافقها: «والآن أنت نادمة.» وبدا متعقلاً إلى درجة مغيظة في مواجهة غضبها.

صرخت بحدة «أوه، هل يمكنك ان تخرج؟ فأنت تدفعني إلى الجنون!»

أردف: «حسناً.» واستدار على عقبيه، ثم خرج.

صرخت بحنق: «ليو!» اسرعت وراءه وعندما استدار، قالت: «اعتقد انك الانسان الاكثر ازعاجاً الذي اتاح لي حظي التعيس بأن اقابله! ماذا تعني بكلمة حسناً؟»

أجاب: «لا شيء إذاً، متى قال لك ذلك؟»

«وما الفرق الذي قد يحدث الآن؟»

«لا شيء، ولكنه أمر كان يزعجني. قلت انك عدت من فرنسا لتجدي ان المنزل قد دمر وريان ذهب. إذاً متى اعترف انه اراد مالك؟»

سألته متشككة: «هل أنت متأكد بانك تعمل في مجال العقارات؟ فأنت تبدو غير عادي مثل رجال الشرطة، تبحث عن دليل أو...» انها اذا لم تخبره فمن المحتمل ان يبقى هنا طوال اليوم، لذا تابعت: «استلمت رسالة منه بعد بضعة ايام، وقد ارسلها إلى وكالة السفر، هل اكتفيت؟»

«من اين ارسلت؟»

«لا اعرف، لم انظر إلى الرسالة فقط مزقتها ورميتها بعيداً!»

«ماذا جاء فيها؟ لا يريدك ابداً؟ وانه كان يصادقك فقط من أجل مالك؟»

همست: «نعم! وان اقول لاصدقائي ان يكونوا أكثر حرصاً عندما يناقشوا امور الآخرين! في المخزن على سبيل المثال! والآن هل تذهب؟»

اومأ مفكراً، ثم استدار وتركها.

تنفست الصعداء وعادت إلى المطبخ لتعدّ الشاي، لماذا يريد ان يعرف كل تلك التفاصيل؟ وما الاختلاف المحتمل الآن؟ شعرت بالانزعاج والاعياء واخذت فنجان الشاي إلى غرفة العمل، آملة ان تكون منحوتاتها بمثابة علاج لها كما هي الحال بالنسبة للمرضى في ذلك المستشفى. كان من الصعب التذكر كيف كانت حياتها قبل ان يقتحمها ليو. ولكن ما من شك، انها كانت اكثر سلاماً.

الفصل الثالث

لم يهدىء العمل ما في نفس هيلاري للمرة الاولى، فقد بقيت افكارها منشغلة بليو، لماذا يسأل دائماً عن ريان؟ فهو لا يريد استفزازها تحديداً، ولكنه يريد ان يعرف امورها الشخصية، لماذا؟ فهذا الأمر يوخزها كثيراً تماماً مثل آلام الاسنان. أو ربما كل الاستراليين بهذه الطباع يهتمون اهتماماً غير عادي بشؤون الآخرين. او ربما هو يشعر بالملل. فالحياة رتيبة ومملة في نورفوك الصغيرة، إذاً ربما هذا هو السبب، لكنه ليس التفسير الذي يقنعها. واعترفت بينها وبين نفسها بصدق بأنه يشعر بأشياء غريبة خلال لقاءاتهما معاً.

قررت انه من غير الجدوى الاستمرار بالعمل بينما تفكيرها لا يستطيع الاستقرار على شيء، وضعت اشياءها بعيداً. سوف تأكل، أو ربما تتنزه، أو تدهن غرفة الجلوس، قررت فجأة.

نهضت مسرعة، مشت عبر الردهة الصغيرة إلى الغرفة الخلفية. وبينما كانت تخطو نحو الباب لاحظت كم ان الغرفة معتمة وكئيبة، فالجدران والسقف كانوا بلون بني داكن. فمنذ سنوات طويلة وبسبب تشعيل الفحم لم يعد لون الطلاء الأصلي محدّدا كما كان في الماضي. دكان القرية الصغير يبيع الطلاء، تذكرت وربما تستطيع الذهاب إلى ترويش لشراء برادي جديدة. بنقشات ملونة تبهج النفس.

اغمضت عينيها وحاولت التصوّر كيف يمكن ان تبدو الغرفة بعد هذه الإضافات، ومن المؤكد لن تكون بأسوأ مما هي عليه الآن.

ما إن قررت، حتى اصبحت متشوقة للمباشرة بهذا العمل، وللمرة الأولى منذ زمن بعيد، احست بالحيوية وبالحماس. أعدت لنفسها غداء وضغطت على نفسها لتأكل. غسلت صحنها وفنجانها بسرعة، وأخذت حقيبة يدها وسترتها، ثم اسرعت الخطى نحو الباب الامامي.

عندما استدارت في المنعطف المؤدي إلى القرية، أبطأت تدريجياً وتوقفت لبرهة عندما رأت ليو يترجل من الناقلة المحلية.

ترددت، فهي لا تريد مواجهته، وحاولت ان تخفي نفسها. منتظرة ان يبتعد. راقبته وهو يتكلم مع سائق الناقلة، قال له شيئاً ثم ضحك، فشعرت في الحال بفراغ موجع بداخلها. لقد مضى وقت طويل منذ ان ضحكت، وشاركت بتبادل النكات أو تصرفت بمرح وانطلاق، من المفرح ان يكون المرء برفقة ليو، انه صديق عظيم، صديق جيد، فكرت وهي تبتسم بحزن عندما استدار ناحيتها وكأنه كان على علم بوجودها منذ البداية، وكان عليها ان تدرك انه لن يبتعد عنها، بل تقدم ناحيتها بخطى سريعة.

بدا وكأنه سائق سيارات للسباق، او بحار يبحر حول العالم، شيء فيه تحدٍ ومنافسة، ولكن بالتأكيد ليس شيئاً رتيباً كوكيل عقارات.

حيته بحيوية: «مرحباً.»

توقفت عن التقدم سألته: «ماذا تفعل في الحافلة؟»

«تعطلت اللاند روفر في طريق عودتي من نورويش.» شرح لها هذا بنفاد صبر وابتسمت له هيلاري بتردد.

قالت بجفاء: «هذا لا يفاجئني اطلاقاً. عندما اوصلتني مساء امس كانت تبدو على انها ستتعطل في اية لحظة.»

«كنت اتساءل...»

«كلا.» قالت رافضة وقد عرفت تماماً ما الذي سيقوله. تجهمت فجأة ولم تلاحظ للحظة بأنها عادة إلى اطباعها الحادة القديمة. وتابعت تقول: «قطعاً لا، ومن بعيد الاحتمال انه بمقدورك الدخول الى سيارتي الصغيرة.»

أخذ ينظر اليها وكأنه يقيمها، فلم ترتح لنظراته تلك ثم سألها بلطف: «هل قررت الانضمام إلى العنصر البشري؟»

لشدة غبائها شعرت بالاحراج، وكأنها ضبطت وهي تفعل شيئاً لا يجدر بها فعله، اشاحت بنظرها وقالت بوهن: «كنت ذاهبة إلى المحل لشراء الطلاء.»

استفهم «طلاء؟» وكأنها عبارة لم يسمعها من قبل، أو كأنما قالت انها ذاهبة لشراء زرافة، فكرت بشيء من الاستغراب.

«نعم، طلاء، سوف أعمل بنصيحتك واجعل من غرفة الجلوس اكثر ضياء.»

سألها مبتسماً: «باللون الاحمر؟»

«كلا يا سخيف، باللون الأبيض أو ما يقاربه.»

«طبعاً، صح تماماً.»

تمتمت بارتباك: «حسناً، من الأفضل ان أذهب.»

وضع يده على كتفها لمرافقتها فارتعشت من ذلك بينما قال: «نعم، وعلي ان أذهب إلى الكاراج لذا سارافقك.»

عرضت عليه بسرعة: «استطيع المرور بالكاراج لاجلك.»

لم تكن متأكدة من صوابية مرافقته لها إلى اي مكان. فسيره معها يشيع نوع من الالفة أرادت تجنبها، إلى جانب ان منظرهما معاً سوف يجلب كل انواع التساؤلات ما بين القرويين.

همس بنعومة: «توقفي عن محاولة التفكير باعذار كي لا امشي معك، أعدك بأنني سأحسن التصرف.»

«هذا سيكون بمثابة تغيير لك.»

مشت إلى جانبه بهدوء بينما استمر هو في التعليق السريع على كل ما يمران به أو يرياه، وشعورها بالدفء إلى جانبه جعلها تشعر بعدم الاستقرار أكثر، واجاباتها عليه كانت محدّدة ومختصرة.

أرادت الابتعاد عنه من دون ان تثير مناقشة عن تصرفها قد يحصل دون شك.

قال بنعومة: «هذه سيدة بيسون. هل تريدين اعطاءها شيئاً لتتكلم عنه؟»

هتفت بذعر: «كلا، لا أريد. فالسيدة بيسون تعتبر اكبر ثرثارة في القرية.» ثم انذرته قائلة: «ليو دعني أذهب.» وشعرت بمدى غبائها عندما منحت السيدة بيسون ابتسامة واهية وهي تحاول الابتعاد عنه.

علق بسخط: «عليك ان تكوني مسرورة.»

سألته: «لماذا؟»

أجابها: «لأنها الآن تستطيع الكلام عن الرجل الاسترالي اللطيف الذي يساعد الانسة دوسون كي تشفى من مأساتها.»

شعرت بالخجل من الطريقة التي نطق بها مما جعلها تبتسم بتردد. هذا تماماً ما ستبدأ السيدة بيسون بالثرثرة عنه. أي شيء لا يلاحظ بالأمر الطبيعي ستذيعه وستضيف عليه بريقاً، فمثلاً سوف تتوقف للحظة، وتتلفت بتشكك حولها وكأن شخصاً ما يستمع إليها وبعدها تقول كلمتها بطريقة تمثيلية. فالمتاعب والمآسي كانتا كلماتها المفضلة بالتحديد.

عندما وصلا إلى الكاراج انفصل عنها ليو ليذهب ويحل مشكلة اللاندروفر، وتابعت هيلاري وحدها. ترددت امام المحل الصغير. أخذت نفساً عميقاً لتمنح نفسها الشجاعة قبل ان تدفع الباب، وقطبت عندما حذّر الجرس برنينه جميع من في الداخل إلى دخولها، رفضت ان تختبىء وراء البضاعة كما تفعل عادة، ومشت بجرأة إلى المكان الرئيسي في المحل. ابتسمت لمجموعة النساء المجتمعة امام الواجهة ولاحظت تحياتهم المفاجئة قليلاً، كانت شاكرة جداً لفرانك جرين، صاحب المحل، لمعاملتها وكأنها زبونة دائمة وقديمة بدلاً من غريبة، بينما وجهه الممتلىء يبتسم لها بدفء وهو يقول: «سوف أكون معك بعد لحظة يا آنسة داوسن.»

قالت بوهن: «حسناً، سوف اتجول في المحل، احتاج لبعض الطلاء.»

تلقت نفس الاستغراب الذي تلقته من ليو. الا يشتري أحد

طلاء؟ واخذت تتجنب النظرات الفضولية، ومشت إلى قسم البضائع الحديدية ملاحظة ان الهمسات توقفت بمجرد ان ابتعدت عن انظارهم. حسناً، لقد عرفت ان الأمر لن يكون سهلاً.

أخذت تنظر إلى الرف الأخير عندما سمعت جرس الباب يرن من جديد، ورأت السيدة بيسون تدخل منه. تبّاً، ثم بدأت الهمسات ما ان أخذت السيدة بيسون بنشر اخبارها. احست بالشفقة عليهم لأنه بالرغم من حساسيتها لتدخلهم المستمر بشؤونها، عرفت ان ذلك لا يعني الخبث، وقد كانوا لطفاء جداً بعد خيبتها من ريان، لذا عادت إلى الواجهة.

قالت هيلاري بهدوء وهي تقترب من الجمع الصغير: «اعتقد انني بحاجة لبعض النصح، بالرغم كل شيء.» وحاولت هيلاري ان تبدو وقد تفاجأت لوجود السيدة بينسون بهذه اللحظة فقط قائلة: «مرحباً من جديد، سيدة بيسون. سوف أطلي جدران غرفة الجلوس. ولكن هل استعمل اللون الابيض الكلسي؟ فينل؟ أو السادة؟» وأحست بأنها احدى الممثلات في برنامج للاطفال، وبسرعة حاولت السيطرة على ارتعاش شفتيها. وتساءلت عما إذا كانت تبدو مختلة عقلياً كما شعرت، فنظرت الى فرانك غرين، بخبث، ثم انفجرا معاً بالضحك.

وافقها بخشونة: «حسناً، من مدعاة سروري ان أساعدك الآن.»

جاء بلائحة الألوان، وابعد الأغراض إلى جانب واحد ليتمكن الجميع من الرؤية وليعلقوا على الأمر كما يروه

مناسباً، فقد كان واضحاً ان نقاشاً جاداً مثل طلاء الجدران سيحتاج إلى مشاركة العديد من الناس.

انحنى الجميع للنظر الى اللائحة، رن جرس الباب من جديد، التفت الجميع وكأنهم شخص واحد، فتسمّرت هيلاري مكانها غير مصدقة، لقد كان ريان يقف عند الباب، وتعبيره مرتعب تماماً كما تعبيرها تماماً.

لم تستطع التفكير بأي شيء في هذه اللحظات، سوى المرور بسرعة من امامه وإلى خارج المحل. حيث استمرت بالركض دون ان ترى إلى ان امسكت بها يدين قويتين.

«ماذا؟» سألها ليو وهو يحدق بوجهها المرتعب وسألها بقسوة: «ماذا هناك يا هيلاري؟»

أجابت بصوت متهدج: «ريان.»

«أين؟»

«في المحل؟»

قال باختصار وهو يديرها في الاتجاه الذي جاءت منه: «حسناً.»

تسمرت في مكانها، رافضة التحرك قائلة: «كلا يا ليو!»

عارض بتجهم: «نعم.» وتغير تعبير وجهه تماماً الآن، وذهبت ملامحه الودودة. بدا فجأة قاسياً جداً وخطراً، عندما اضاف: «سوف تذهبين إلى داخل المحل لمواجهته. نعم سوف تفعلين!»

همست: «لا أستطيع، حقاً يا ليو، لا أستطيع.»

أدارها لتواجهه، وامسك بوجهها براحتي يديه قائلاً: «لقد كنت تقيمين في ذلك البيت الحقير لمدة سنة فحوّلك إلى

جبانة. انه لص يا هيلاري، إذا تسلل احدهم إلى منزلك وامسكت به، تضربينه على رأسه، أليس كذلك؟»

«هل يمكن ان أفعل ذلك؟»

سألته بيأس، وغير واثقة من انها تستطيع فعل اي شيء من هذا النوع.

«نعم، تستطيعين، وسوف تدخلين الى المحل لتمنحينه النظرة الاكثر احتقاراً وغطرسة التي تقدرين عليها ـ وأنت تستطيعين ذلك.»

ثم تابع بعد توقف قصير: «تستطيعين ان تبدي مثل أكثر الدوقات غطرسة عندما تريدين ذلك. أنا أعرف، وقد حدث ذلك معي فعلاً! لذا توقفي عن الادعاء بأنك لا تستطيعين لأنه باستطاعتك ذلك. وإذا كان علي جرك إلى هناك، سوف افعل ذلك!»

قالت بخوف: «لما هو هنا؟»

«لا أعرف، سوف اسأله.»

هتفت مرتعبة: «لا تستطيع!»

«طبعاً استطيع، وإذا ما اردت معرفة شيء، ما عليك سوى طرح السؤال.»

حدقت فيه، وادركت انه على حق، لكن مجرد فكرة مواجهة ريان من جديد جعلتها تشعر بالغثيان وقالت: «ولكن ماذا علي ان اقول؟»

قال باختصار: «لا شيء، واذا حاول التكلم معك سوف تنظرين اليه نظرة متغطرسة ولكن بصمت.»

أحست بالألم يعتصرها من الداخل، وبأنها لا تستطيع التركيز على أي شيء، سمحت لليو ان يسرع بها إلى المحل

من جديد. وعندما وصلا إلى الباب ترددت ونظرت إليه بلوم.

فتح الباب على مداه وهو يبتسم ابتسامة واهية، لقد كان يدرك جيداً انه بمجرد قرع الجرس فان كل من في الداخل سوف ينظرون إلى الباب، وبصورة مفاجئة قبلها قبلة سريعة جعلتها عاجزة عن التفكير.

أخذت نفساً عميقاً وقد شعرت بالامتنان العميق لوجود ليو لحمايتها ثم تقدمت الى الداخل.

«فتاة سخيفة اخذت مفاتيح سيارتي.» كان هذا عذراً مقبولاً لتركها المفاجيء للمحل.

ما من احد سيصدق روايته، ولكنه على الأقل كان شيئاً باستطاعة الجميع التظاهر بانهم قبلوه.

ابتدع فرانك واحدة افضل فقال: «زوجتي فعلت ذلك مرة، أخذت السيارة إلى الكاراج وأخذت مفاتيحي معها. وأخذ مني وقتاً طويلاً لأتعقبها.» وابتسم لهيلاري متابعاً: «والآن، اردت الطلاء، أليس كذلك؟ اقترح الفنيل السادة...» وتناقش الجميع في ذلك يحمون هيلاري من ريان الذي كان يقف إلى الجانب الآخر جاهلاً ما يدور حوله.

بعد لمحة سريعة نحوه، أبقت هيلاري ظهرها له. وشعرت انه لولا ذراع ليو الثقيلة حول كتفيها، لكانت هربت من جديد.

حدقت بفراغ في لائحة الألوان التي وضعت بين يديها، ونظرت إلى ليو، كان يتكلم ويبتسم وكأن ليس هناك من شيء ولكن التعبير في عينيه كان يكذب طبعه اللينّ. بدا أنه رجل ينتظر شيء ما. رجل يتمتع بصبر غير محدّد.

غير قادرة على احتمال الجو المتوتر اكثر، التفتت لتنظر إلى ريان.

التفتت من جديد إلى فرانك جرين وسألته: «هل تعتقد ان الأبيض هو اللون المناسب؟»

وبعدها تنهدت بارتياح عندما سمعت باب المحل يفتح ثم يغلق.

همست: «هل ذهب؟»

قال فرانك باختصار: «نعم.»

سأله ليو: «هل تعذرني لدقيقة؟ علي ان آخذ هذه المفاتيح إلى الكاراج.»

ضغط على كتف هيلاري مطمئناً وأضاف قائلاً: «ولا تحاولي نقل الطلاء إلى البيت بمفردك، انتظرينني هنا، فلن أتأخر.»

عندما أغلق الباب وراءه حدقت هيلاري من جديد في لائحة الألوان، شاعرة بالضياع والرفض في آن واحد، وقد عرفت إلى أين هو ذاهب، سيواجه ريان، ولم ترد ان يفعل ذلك.

وعندما تحركت لتلحق به قال فرانك بلطف: «افعلي كما قال لك، يا آنسة، دعي ليو يتولى الأمر. انه رجل حكيم، انني متأكد.»

حدقت فيه، وبعدها في الوجوه المهتمة، ثم همست: «لا أريد حدوث أية مشاكل.»

أكد لها فرانك: «لن يحدث شيء.»

سألته بيأس: «ولكن لما عاد؟»

جاوبها فرانك بفرح كبير: «ليعرف لما لا يستطيع

أخذ الاذن بالتخطيط، كما اتوقع، في كل مرة يتقدم بطلبه يرفض فوراً، لسبب أو لآخر. شقيقي في المجلس.» شرح لها بعد أن رآها لم تفهم ما يقول وأضاف: «ريان وشريكه فكرا انهما يستطيعان أخذ الاذن لبناء العقار على الارض حيث كان منزلك قائماً، وحتى لو لم يخدعك وهو شيء اكثر من كاف لنضع حداً لمشاريعه، فاننا لا ننوي ان تقوم مشاريع اسكان هنا، فهذه قرية صغيرة، قديمة الطراز، ربما اقطاعية قليلاً في بعض النواحي، ولكننا نحبها.»

ثم تابع بعد تنهد قصير: «لما بقينا هنا لو لم تكن كذلك، لذا قررنا ان نوقفه عند حده، طلب الكولونيل من الناس المعنيين بالأمر وكلفهم بالوقوف في وجهه، وفي كل مرة يعرض ريان الخطط يوقفونها له بطريقة او بأخرى. كان يعتقد انه سيجني الكثير من المال من جراء تنمية اعماله.»

سألته وقد بدأت تشعر بسرور من سخرية الأمر: «إذاً ريان علق بقطعة أرض لا يستطيع البناء عليها ويستطيع بيعها فقط كقطعة أرض؟»

«إذا باعها فسيكون بسعر ليس أغلى بكثير من ثمنها، وهذا لن يعيد اليك مالك يا عزيزتي.»

«فهمت وهل تعتقد ان هذا هو سبب عودته؟ ليعرف ما اذا سمح له؟»

«أعتقد ذلك، ولم يتوقع وجودك هنا.»

«لقد كان ذلك بمثابة صدمة.»

«لقد كان ذلك صدمة.»

قالت بتمهل: «أنا لم أتوقع ذلك أيضاً وقد كنتم جميعاً لطفاء للغاية.»

«حسناً، لم نستطع الوقوف على الحياد، لقد كان ريان واحداً منا، يمكنك القول، لذا كان الأمر منوّط بنا لنضع حداً له. أصلحنا الأمر بالطريقة الوحيدة التي نعرفها. وجدنا لك مكاناً لتسكني فيه حيث تستطيعين تضميد جراحك فيه بخصوصية، مكان نستطيع ان نراقبك فيه، لنعرف بانك بخير.»

اعترضت السيدة بيسون: «وفي نفس الوقت الذي بدأت تخرجين فيه من الأزمة، عاد السافل!»

وقد ادهشت ليس هيلاري فقط، ولكن الجميع أيضاً. فلم تكن السيدة بيسون تنطق بالكلام الكبير، وبالتأكيد ليس بصوت عالٍ.

همست هيلاري: «لا أعرف ماذا اقول.»

وشعرت بوخز في حنجرتها فلم يخطر ببالها أبداً التساؤل لما كانت الأرض حيث بني المنزل ذات مرة مازالت خالية. فهي لم تمر ابداً في تلك الطريق حين كان باستطاعتها تجنبها.

قال فرانك بتجهم: «إذاً لا تقولي شيئاً، إلى جانب، اننا نحبك، حتى لو كنت غريبة. فهذا الأمر له ناحيتين، كما تعرفين. نعمل لك، وانت تعملين لنا.»

قالت بصدق وهي تدرك للمرة الأولى مشاعر الآخرين نحوها: «ولكنني لم أفعل أي شيء إلا ان اكون مأساة كاملة.»

في لندن من الممكن ان تسرق، تعتقل حتى، دون ان يهتمّ

احدهم بها، ولكن هنا، في هذا المكان الصغير يفعلون ما باستطاعتهم لمساندة المظلوم.

سألها فرانك: «هل تعتقدين اننا لا نعرف بأمر المنحوتات التي تصنعينها للمستشفى؟» وابتسم بعد ذلك لما بدا عليها من الاستغراب وتابع: «انه مجتمع صغير يا هيلاري والمستشفى هو جزء منه. دكتور جوهانس اخبرنا كل شيء عن العمل الذي قمت به، وكيف انك لم تأخذي أجراً لذلك. والآن لنعود الى لون الطلاء، الا تعتقدين ان اللون الأبيض مناسب أكثر، فهو مضيء جداً يتناسب مع الأطر القديمة. تحتاجين إلى اثنين، وربما ثلاثة أوجه، هل عندك فرشاة؟ وصينية؟»

راقبت العدة المتراكمة على الواجهة، وهي تهز برأسها بغير رضى. انها لا تستطيع تحمل تكاليف كل ذلك. فقد نوت ان تشتري علبة طلاء صغيرة وفرشاة. سألته بوهن: «بكم ادين لك؟»

«اضيفيها على الحساب.»

عارضته قائلة: «ولكنني لا أملك اي حساب.»

قال بلطف: «أنت كذلك الآن. انتظري ليو، فلا أعتقد انه سوف يتأخر. والآن سيداتي.» أضاف قائلاً وهو يلتفت إلى الأخريات: «هذا ليس بناد اجتماعي، ماذا تردن جميعاً؟»

شعرت انها مثل اللعبة الالية التي لا تعمل بدون مفتاح، لم تعد حياتها ملك يديها. بدا أن كل شخص آخر يديرها لها. الكولونيل، أهل القرية، حتى ليو. هل اعتقدوا جميعاً انها غير قادرة على صنع قراراتها؟ حتى لون الطلاء تحدد بدون الأخذ برأيها.

رن جرس الباب، استداروا جميعاً وكأنهم دمى متحركة يديرها معلم، أومأوا وابتسموا لبعضهم البعض لدى دخول ليو.

سألها مبتسماً: «جاهزة.» ثم التقط الطلاء والادوات الأخرى، أومأ لفرانك ومنح ابتسامة للجميع، وخرج... لحقت به بسرعة، واستدارت لتمنحهم هي ايضاً ابتسامة واهية، وانضمت إليه في الطريق.

«هل رأيته؟»

اجاب بسرور: «طبعاً.»

«حسناً، ماذا قال؟»

قال بعدم اكتراث بينما تابع المسير ناحية البيت: «ليس الكثير.»

استعلمت منه بقسوة: «ليو!» بينما كانت تسرع في الخطى لتبقى قريبة منه في خطواته الواسعة. «انك تتصرف وكأن شيئاً لم يحدث!»

أجاب: «هذا صحيح. قلت له بضع كلمات، وعدت إلى المحل.»

أصرت: «ولكن ماذا قال؟»

تنهد، وتوقف للحظة منحنياً على السياج الذين يمرون بجانبه. ونقل اغراضها بين يديه لوضع مريح أكثر. شرح بكياسة: «لقد اخبرته انه إذا اقترب إلى مسافة مئة ياردة منك سوف أدق عنقه. جيد؟ هل نستطيع الذهاب الآن؟ هذه الاغراض ثقيلة.»

وبدون انتظار ردها استدار ومضى في طريقه. تاركاً هيلاري واقفة فاغرة فاها.

اسرعت وراءه، وغضبت فجأة من ان الجميع يعاملونها كطفلة: «لماذا تأخذ كل هذا الاهتمام بغير إذن لتتدخل في شؤوني؟ كل القرية دخلوا في مؤامرة لحمايتي! أنا لست طفلة، كما تعلم!»

قال بهدوء: «نعم، أنت كذلك، آه، ها قد جاء اللاندروفر.» قفز الخطوات الأخيرة إلى البيت واندفع إلى الداخل، وضع أغراضها على طاولة المطبخ قبل ان يسرع في الخروج مرة أخرى خلف اللاند روفر التي كانت تتقدم على الطريق المؤدي إلى بيت الكولونيل.

افترضت ان ميكانيكي الكاراج هو من يقودها.

قالت بينها وبين نفسها: «حسناً، سوف تعدين حتى العشرة ببطء شديد.»

نصحت هيلاري نفسها وهي تقف في الدرب تراقب اختفاء ليو السريع.

تابعت تنصح نفسها: «لن تصرخين. سوف تسيرين بحذر شديد إلى البيت، سوف تضعين الابريق على النار، وتصنعين الشاي.

فعلت ذلك بهدوء تام، لكنها ما إن وصلت إلى البيت، أفسدت كل ذلك بصفعها للباب. هل قابلت في حياتها رجلاً اغضبها إلى هذا الحد؟ رجل مراوغ إلى هذه الدرجة وغير مكترث لمشاعر الآخرين، ولكن ماذا يريد منها؟ هل لأنها اقترفت غلطة واحدة... حسناً، إذا كانت تتصرف مثل غريبة منذ ان تركها ريان، تعيسة وانزوائية، لكن ماذا ينتظر منها الجميع السرور؟

ولكي تغيّر عما تشعر به من احباط جمعت البذور التي

كانت قد اشترتها من نورويش في بداية هذا الاسبوع وخرجت بها إلى الحديقة الصغيرة. بحثت عن الرفش، وبعد ان وجدته، بدأت بعملها.

كانت مغتاظة، وكان ذلك بالتأكيد أفضل بكثير بالنسبة للأرض. إذ لم يستلزمها وقت طويل لتنكش الأرض.

بينما كانت تتذمر في نفسها عن الاستراليين المتطفلين الذين لا يستطيعون الاهتمام بشؤونهم الخاصة فقط دون غيرهم، لم تسمع خطوات ليو وهي تقترب، كما لم تلمحه ينحني فوق السور. في الحقيقة، لم تلاحظ وجوده هناك إلا عندما تكلم.

سألها بسرور: «تأخرت قليلاً لتبدأي بزراعة البذور، أليس كذلك؟»

اجابت: «إذهب من هنا.»

«يا لك من سريعة الانفعال، لقد جئت فقط لأسألك ماذا فكرت عندما رأيته من جديد؟»

قالت بازدراء وهي تقف على قدميها: «أنت مليء بالذوق والدهاء في الوقت نفسه، الست كذلك؟ ماذا توقعت مني ان اشعر به؟ مسرورة؟ مصدومة هكذا شعرت. تماماً كما اشعر الآن تجاه سؤالك السخيف! إذهب يا ليو، إذهب والعب باللاند روفر، فأنا أكيدة انه يمثل تحدياً اكثر مني.»

أصر على سؤاله وهو يفرد يديه على السور قائلاً: «هل شعرت بأنك اشتقت اليه.»

تمتمت بوهن: «أنا لا أصدق، أنا حقاً لا أصدق انه بامكانك ان تكون عديم الاحساس إلى هذا الحد، حتى لو كان لك علاقة بالامر، ولكنك لست كذلك.»

وافقها بسرور: «هذا صحيح.» وبدا أنه غير محرج من نبرتها بأي شكل من الاشكال وتابع: «ولكن الكولونيل قال ان علي ألا اتركك تستسلمين لافكارك.»

«أنا لا أحاول التفكير، انني فقط أحاول زراعة البذور!»

«لكن ماذا لو جاء الآن؟ ماذا لو انه اخذ يمشي فقط امام بيتك؟»

قالت برصانة: «لا أعرف!» وأطبقت على اسنانها حتى شعرت بالألم، حدقت فيه بكره وهي تتساءل ما إذا كان بامكانها حقاً وتملك الشجاعة لضربه بالرفش ثم اجابت: «سوف اتعامل مع الوضع، كما تعاملت مع الأمر لسنة مضت...»

قال متابعاً: «من اليأس.»

صرخت: «حسناً، من اليأس. ماذا كان علي ان أفعل؟ ان اتظاهر بأن كل ما كان لم يكن موجوداً؟»

قال بايجابية: «قاومي.» ثم مشى حتى آخر السور، ليقف إلى جانبها. «توقفي عن كونك مجرد نعامة مغبونة صغيرة الآن...»

قالت محذرة: «ليو، لقد اكتفيت لهذا النهار. هل يمكنك الذهاب؟ إذهب لرؤية شقيقتك وابنها...»

«كلا. أنا...»

أكملت بقسوة، غير آبهة لمقاطعته: «فقط لا تأتي وتزعجني، أنا لا أحتاج لاهتمامك المزيف، وعلى أي حال، أنا لا أتوقع عودته.»

أصر: «أوه، سوف يفعل.» ثم ابتسم لها بخبث: «أنا واثق من ذلك، فهو يريد ان يعرف لما أنت ما زلت هنا.»

اجابت بدهشة: «هذا ما جعلني اتساءل أنا ايضاً! أنا حقاً مندهشة. كل ما احتجته كان علبة طلاء. انها ليس بالشيء الكثير لأطلبه، أليست كذلك؟ علبة طلاء؟ ومنذ متى اصبحت تعي جيداً الطبيعة البشرية؟ كيف يمكن ان تعرف ماذا سيفعل؟»

اجاب ملمحاً: «لأنني رأيته الآن يشق طريقه في هذا الاتجاه.»

حركت كتفيها باعياء، وانحنت على عصا الرفش: «رائع.» رمقته مستفسرة بيأس: «هل مرت بك أيام تمنيت فيها ملازمة الفراش؟»

قال بسرور: «بالطبع.»

لم ترد، لسبب بسيط، فهي لم تستطع ايجاد ما تقوله لأن الابتسامة التي منحها اياها لم يكن لها مثيل من قبل. نصحها بنعومة: «قفي على الرفش.»

سألته ببساطة: «عفواً؟»

ردد: «قفي على الرفش، أنت قصيرة، ريان لن يراك من فوق السور إلا اذا وقفت على الرفش.»

سألته بوهن:

«ولم علي ان اجعله يراني؟»

«لأننا سوف نرد عليه.»

«نحن؟ كيف؟»

«عندما سيمشي قرب الزاوية، سوف يراك بجانبي.»

رفضت بسرعة وهي تحاول التراجع إلى الوراء وقد شعرت ان وجهها سيكشف خوفها: «كلا يا ليو.»

عارضها بنعومة: «نعم.»

تمنعت قائلة وهو يحاول الامساك بها ليرجعها: «كلا يا ليو! فهو لن يهتم بما يراه، وخصوصاً أنا.»

أصرّ على موقفه: «آه، أجل سيهتم، سيفعل، الرجال مثل ريان دائماً يهتمون. فنفسياتهم مريضة. كنت ضحيته، ويريد الامر أن يبقى كذلك، صدقيني يا حبيبتي، السفلاء امثاله دائماً يهتمون. سينجرح كبرياءه عندما يرى رجل آخر يريدك وسوف يبدأ بالتساؤل عما فاته. لقد كتب لك مودعاً، والآن سوف يعاود التفكير في الأمر.»

«آه، كم أراكما متشابهان الى حد بعيد، أو هل انني مخطئة؟ انت تعرف كيف سيتصرف.» قالت هذا بغضب، ثم فقدت توازنها عندما أمسكها بعنف وجعلها تقف على الرفش.

حدقت بوجهه العنيد، ورجته بيأس: «ليو، أرجوك، فهو لن يهتم، حقاً لن يهتم، على كل، أنا لا أريد رؤيته.»

قال بعدم اكتراث: «إذاً اغمضي عينيك.» بدا فظاً غير ليو الذي اعتقدت انها اعتادت عليه، وأطاعته بصورة آلية.

نظرت في عينيه التي بدت فجأة دافئة، حتى انها لم تتوقف لتتساءل لما فكرة مواجهة ريان من جديد بالكاد أزعجتها. وضعت يديها بسهولة حول عنق ليو وقد شعرت بالاعياء.

«أشعر بالسخافة إلى درجة كبيرة.»

استفزها قائلاً: «آه لقلة ثقتك بي، انني اضمن انه في خلال نصف ثانية كل الأفكار بخصوص ريان سوف تطير من رأسك.»

وهذا ما كان يزعجها بالتحديد. لقد كان من السهل لها

بكثير ان تبقي الأفكار المتعلقة بريان موجودة في رأسها، لذا حاولت التمنع من جديد.

«ليو! إنه مجرد عرض وليس حقيقي!»

«ماذا تقولين؟ هل قلت اي شيء عن عرض؟»

بدأت بوهن: «أنت قلت...»

قاطعها قائلاً: «أنا أعرف ماذا قلت.»

أخذها إلى البيت بعد ذلك، وحدق في وجهها قبل ان يتركها فجأة ويستدير ليذهب إلى المطبخ ليعدّ الشاي.

الفصل الرابع

حدقت هيلاري بفراغ وراء ليو، وحاولت ان تفكر بما حدث، لم يجعلها ريان أبداً تشعر بمثل هذا. تنهدت بعمق ولحقت بليو ببطء كان يقف مديراً ظهره لها، ويده تضغطان على طاولة المطبخ، وكان يأخذ انفاساً عميقة.

تحركت وراءه بصمت، لمست ذراعه بسرعة، فاجفل بعنف ولم تكن مستعدة تماماً لحركته هذه.

همست: «ليو؟»

عندما استدار اليها حدقت فيه بيأس وقد صدمت من مظهره. بدا منزعجاً كثيراً: «أوه، ليو.»

فتمتم بثقل: «أريدك، لكن لا أريد لعبة طيّعة احركها متى شئت. اكاد أجن، هل تشعرين بالصدمة؟»

انكرت بقولها: «كلا.» واكتشفت لتوها انها بحاجة لرجل مثله تحارب معه، وتتقاتل معه.

ريان لم يجادلها ابداً لم يصرخ في وجهها عندما كانت غير محتملة. فإلى جانب عداءها الدائم مع ليو، لقد جعلها تشعر بالحياة.

«علينا أن نتكلم، هناك أشياء علي شرحها...»

أمسك بيدها وتوجه بها إلى غرفة الجلوس.

رفعت رأسها لتنظر إليه، ثم قالت: «أنت تعرف كل شيء عني، ولكن تبدو متردداً كثيراً في التكلم عن نفسك.»

تمتم: «وقت الاعتراف.» بينما كان يرفع يدها وسعت

عيناه، واستغرق بالضحك عندها رأى حالتهما ثم قال: «ما هذا؟»

حدّقت بيديها المتسختين، وأظافرها المتسخة، وانفجرت بالضحك. تمتمت: «غير صحية بالمرة، ولكنها غلطتك انت، لم يكن عليك ان تكون...»

حشرياً؟»

تابعت تحديقها باستغراب في يديها المتسختين وقالت: «من الأفضل ان أذهب لاغسلهما.»

قال بإيجابية: «فيما بعد. إذا اصبت بالعدوى، فبضع دقائق أخرى لن يكون لها أي فرق.»

«حسناً، هيا، أخرج تلك الاسرار الدفينة، وهي نتيجة، بدون شك، لشبابك الضائع.»

استعلم قائلاً: «الضائع؟ دعيني أخبرك، لم يكن لدي وقت لأسيء التصرف ابداً. استيقظ في الفجر، اعمل بكد، واذهب إلى الفراش عند الغروب...»

مازحته قائلة: «العمل في المناجم.»

«لا ابداً، بل في مرعى للأغنام التي لا تقف بانتظام، تنتظر من يهتم بها. تتجول كما تشاء، حيوانات غبية جداً هي الاغنام.»

قالت ضاحكة: «أوه، قلبي يقطر دماً.»

ثم اضافت: «هل كنت تعتمر قبعة من الفلين؟»

نفى ذلك بقوله: «كلا، لم ارتد يوماً قبعة من الفلين. لم كل الأجانب يعتقدون اننا نعتمر مثل هذه القبعات السخيفة؟»

تمتمت قائلة: «بعضهم يفعل ذلك، رأيت صوراً. وهل هذا ما تزال تعمل به؟ اوه، كلا.» استدركت بعد ان تذكرت إحدى

احاديثهم السابقة: «نسيت ـ أنت تعمل في مجال العقارات.»

«كلا، أنا...» وقطع كلامه، وعبس عندما علا صوت بوق سيارة من الخارج.

وقفت لتنظر هيلاري إلى الخارج من خلال النافذة. ثم قالت: «هناك سيارة بلون بيج على الطريق. والسائق يقف بجانبها وينحني على البوق.»

«هذه سيارة الأجرة، آه لقد نسيت كل شيء عنها، علي الذهاب.»

راقبته من النافذة، وابتسمت له عندما رأته يسرع نحو السائق وتحركت من مكانها فقط عندما صعد إلى السيارة.

جلست على المقعد المريح وأخذت تحدّق في السقف، مفكرة: هل سيعود؟ لم يقل حقيقة انه سوف يفعل، ولكن أيضاً لم يقل انه لن يفعل.

أحست فجأة بشعور وافر من النشاط، وقفت وذهبت لتدير جهاز تسخين المياه لكي تستحم فيما بعد وقررت ان تنظف البيت. كان الوقت متأخر لتبدأ بالطلاء، سوف تقوم بذلك غداً، هذا ما قرّرته.

• • •

كان الوقت قد شارف العاشرة ليلاً، عندما أنهت تنظيف البيت، وأخذت حماماً وتناولت بعض الطعام، ثم قالت أخيراً بينها وبين نفسها بأن ليو لن يعود. هل هي غبية تماماً؟ وأخذت تحدّق في الحديقة، وهي تقف عند نافذة المطبخ.

لاحظت التراب، بينما البذور منتشرة كما تركتهم. وبينما

كان القمر يختفي وراء الغيوم اقشعرت وداهمها شعور عنيف بالوحدة.

الآن وهي تفكر بعقلانية اكثر. عادت كل الشكوك القديمة، ووجدت انه من الصعب التصديق انها تتصرف بمثل هذا الشكل الطائش.

قررت أخيراً انه من غير المجدي، والمفيد ايضاً الوقوف عند الباب بانتظار رجل لن يأتي، صعدت إلى غرفتها استغرقت بالنوم على الفور. واستيقظت بعد عدة ساعات على صوت عاصفة عنيفة. بينما كانت البرق والرعد يعصفان بجنون في الخارج، فدفنت هيلاري رأسها تحت الاغطية ولكنها عادت واخرجته بندم تستمع إلى انهمار المطر الغزير.

كان من الصعب ان تتأكد تماماً من الصوت الذي تسمعه. لكنها ادركت بعد ذلك أنه يأتي من الداخل. فهذا الصوت كان صوت مياه تتساقط محدثة أصواتاً تزعج السمع. حدقت في الساعة القريبة منها وتجهمت، كانت الساعة الخامسة صباحاً. اسقطت رأسها على الوسادة محاولة تجاهل الصوت. اغمضت عينيها، استمعت إلى صوت البرق بعيداً اكثر الآن، وصوت المياه المتساقطة مستمر ولسوء الحظ لم يكن بعيداً أبداً.

دققت السمع، محاولة ان تحدد مكان الصوت تماماً، ثم ابعدت الغطاء جانباً لن يتوقف هذا الصوت من تلقاء نفسه، وإذا تجاهلته، فمن يدري أي نوع من الفوضى ستفاجئها في الصباح.

ارتجفت من البرد القارص، وهي تتوجه إلى حيث مفتاح

النور. وحدقت باستياء في النقاط اللامعة التي تتساقط فوق طاولة الزينة.

وضعت معطفها المنزلي ورأت الملاحظة التي كانت مشبوكة بعناية على الوسادة. التقطتها بيد مرتجفة وفتحتها ببطء. كانت مكتوبة على الجهة الخلفية من فاتورة الطلاء، تخيلت فجأة، ليو يبحث بسرعة حوله في الظلام عن شيء يمكنه الكتابة عليه.

ابتسامة واهية ارتسمت على فمها، مقتنعة انها تقول شكراً لك ووداعاً، أخذت نفساً عميقاً وبدأت تقرأ: «سوف أراك في الصباح وفي المستقبل، اقفلي بابك الخلفي جيداً! مع حبي، ليو.»

حبي؟ استغربت من ذلك، فهي لم تكن أكيدة من اي شيء يتعلق بليو. ولكن لا بد انه يحبها قليلاً، اليس كذلك؟ مشت إلى طاولة الزينة لتحدق بوجهها في المرآة. انت في السابعة والعشرين، قالت لصورتها في محاولة لتدخل إلى رأسها بعض التعقل. من المفترض ان تكون واثقة، وناضجة. وضعت الملاحظة في جيب معطفها، ونزلت السلالم لتبحث عن وعاء.

تثاءبت وهي تحمل الوعاء وتصعد إلى غرفتها، ووضعته على طاولة الزينة لتسقط فيه المياه، خلعت معطفها المنزلي وصعدت إلى السرير البارد مجدداً.

أخذت تفكر بالكلمات التي جاءت في الملاحظة وبنهايتها، مع حبي، ليو. انها لا تعني شيئاً على الاطلاق، حاولت ان تقنع نفسها بهذا. كانت مجرد عبارة عادية تقال عادة ولا تعني شيئاً، ولكنها، لا تريدها بدون معنى لها.

حاولت ان تعود إلى النوم الذي بدا بعيداً، واغمضت عينيها، ثم فتحهما وحدقت في الستارة التي تهتز بفعل الرياح الباردة المنبعثة من النافذة القديمة، بينما صوت نقاط المياه المزعج حيث كان يتجمع في الوعاء، فلفت رأسها بالوسادة محاولة تجاهل الأصوات، لكنها أزاحت الأغطية بعصبية وقد اقتنعت بانها لن تنام من جديد، ارتدت معطفها ونزلت إلى الأسفل مفكرة انه ربما فنجان من الشاي سوف يساعدها.

وقفت إلى جانب النافذة تراقب المطر، بينما كانت تنتظر الماء ليغلي. كان هطول المطر غزيراً إلى درجة لا توصف. كانت الامطار تسحق الارض الناعمة.

بعد أن انتهت من تحضير الشاي جلست إلى طاولة المطبخ لتحتسيه، وكانت لا تزال هناك حين بزغ الفجر. وبينما كانت الامطار تخف تدريجياً، خرجت العصافير من اوكارها تزقزق بمرح.

لم تكن ساذجة لتعتقد انه يحبها، كما ولم تعتقد انها ايضاً تحبه، ربما قليلاً، ولكن تلك العينين الرماديتين اللتين باستطاعتهما ان تكونا كالجليد في برودتهما أو مليئة بالمرح، جعلتها ترتعد.

كان الفنجان ما زال بين راحتيها، حين شاهدت الشمس تشرف من وراء التل وتعطي الجمال للأرض الواسعة.

تثاءبت، ووضعت الفنجان الفارغ على الطاولة، وتوسدت رأسها بين ذراعيها ناعسة، تناهى إلى مسامعها، اصوات من الخارج مثل حلب البقر، وعواء كلب بعيد، وسيارة ترفض ان تدور استيقظت مذعورة، غير

متوازنه للحظة، حدقت هيلاري غير مصدقة في ساعة المطبخ. كانت تناهز الساعة التاسعة. انها ليست بداية مبكرة، وبينما كانت تسرع إلى الطابق الأعلى، وبعد ان اغتسلت بسرعة ارتدت سروالاً قديماً وسترة وكنزة قديمة ايضاً قبل ان تفرغ الوعاء وتعيده إلى طاولة الزينة. كانت قشرة السقف على وشك ان تقع، وصرخت فيه: «هل عليك ان تفعل هذا بي؟»

لكن كان هناك نبرة فرح في صوتها، ولمعان في عينيها الجميلة مع ابتسامة.

جلبت السلم من التخشيبة، واخذت تبحث عن المطرقة. بعد ان رمت الأدوات بغير انتظام هنا وهناك، أخيراً توقفت عن البحث.

ربما الكولونيل لديه واحدة وهي لا تعتقد انه سيتضايق اذا ما استعارتها منه.

خرجت من البيت واسرعت عبر الدرب، شاعرة بالسعادة، وكان من السخافة ان تشعر كذلك. ولكنها سعادة لا تستطيع تجنبها، فهي ستقابل ليو.

لم يكن هناك أي أثر له، أو لسيارة الأجرة، وللحظة تزعزعت ثقتها.

ألم يكن مشتاقاً إليها كما هي مشتاقة إليه؟ وذهبت إلى الاسطبل مؤنبة نفسها على غبائها. لسوء الحظ، بدا انه في فوضى تماماً مثل بيتها. التبن في كل مكان، فتشت على الأدوات، أخيراً وجدت إزميل، وقررت انه قد ينفع.

بعد أن عادت إلى بيتها، وضعت السلم على الجدار،

وجربت ثباته لتتأكد من أنه محكم. وضعت الازميل في جيبها الخلفي وصعدت، حدقت متفاجئة بالمزراب. لم يبد متفككاً أبداً. وهزته لتجرب ثباته، فوجدته متيناً تماماً، فتشت في كل السطح، إلى ان وجدت قطعتين من القرميد متهشمتين.

سألها صوت ناعم من ورائها مباشرة: «هل تحتاجين لأية مساعدة؟»

كادت تقع عن السطح من شدة خوفها وامسكت بعمود المدفأة لتحافظ على توازنها. نظرت بوهن من فوق كتفها إلى ليو وصرخت: «ماذا تحاول ان تفعل؟ تقتلني؟»

اعتذر بحرارة: «عفواً.»

ثم تابع: «لا تبدين جيدة لمثل هذه الأمور إذا كان بامكاني قول ذلك.»

علقت على كلامه: «كلا، لا يمكنك قول ذلك! هل تعرف شيئاً عن السطوح؟»

زم شفتيه مفكراً، وعيناه تلمعان بالضحك، أخيراً اوما برأسه نافياً.

«كلا، لا أعتقد انك تعرف، إذاً اذهب بلطف وتوقف عن محاولة توقيفي عن المتابعة.»

«كنت أحاول المساعدة فقط.»

ثم تابعت عملها وهي تقول: «حسناً، أنت لا تعرف فلا تعطلني عن عملي واذهب بلطف.»

بدا وكأنه حقاً مسروراً برؤيتها، دون مراوغة، وعندما تابع مراقبتها اعادت تفكيرها بسرعة إلى العمل الذي بيدها.

معظم الرجال قد يصرون على القيام بذلك بأنفسهم، وكانت مغتبطة لثقته بمقدرتها. تنهدت بارتياح عندما انتهت وساعدها ليو بالنزول على السلم.

قالت: «شكراً.»

قال وعيناه تبتسمان بدفء لعينيها: «هل قلت صباح الخير؟»

قالت غير قادرة على النظر بعيداً: «لا، صباح الخير.»

قال: «علي أن أذهب مجدداً سوف اتغيب لمدة ساعة فقط كما آمل. هل انا مدعو للغداء؟»

مضى مبتعداً وهو يصفر. بابتسامة مستغربة في عينيها، أخذت تراقبه إلى ان وصل إلى سيارته.

كانت لا تزال تقف هناك عندما مر بسيارته لوحت له بغباء، وقررت انه من الأفضل اعادة الازميل قبل ان تنسى امره. والآن، ماذا عليها ان تحضر للغداء؟ استغربت. كلا، سيبدو الأمر مبالغاً فيه اذا كان بشكل احتفالي. إذاً، ستعد ما متوفر لديها. ستستحم الآن وتغير ملابسها.

بعد ان اعادت الازميل إلى مكانه، استدارت لتغادر ولكنها وجدت نفسها وجهاً لوجه مع شقيقة ليو. انهما لم تتعرفا على بعضهما البعض في الواقع من قبل.

شرحت بوهن: «كنت أعيد الازميل فقط، لقد استعرته قبل الآن.»

قالت الفتاة الأخرى بمرح: «حسناً، لقد ارحتني! اعتقدت انك لصة! ولو كنت كذلك فانني اعرف تماماً من سيلوم شقيقي!» ثم مدت يدها معرفة عن نفسها: «انني جوين.»

«هيلاري.»

قالت جوين ببساطة: «هل تريدين بعض الشاي؟ كنت على وشك تحضيره.»

رفضت بسرعة: «أوه، كلا، اشكرك على اية حال.»

لم تكن متأكدة تماماً انها جاهزة لمواجهة شقيقة ليو وتابعت: «كنت فقط أعدت الازميل.»

«أوه، هيا، من المؤكد ان لديك بعض الوقت لتناول فنجان شاي.» تكلمت بصراحة مثل شقيقها، وأمسكت ذراع هيلاري في قبضة قوية وبدأتا في السير إلى المنزل.

لم تعرف هيلاري كيف يمكنها الخروج من هذه الورطة دون ان تبدو فظة، ونظرت اليها نظرات فأدركت انها اكبر منها بسنتين تقريباً، وفي حين ان ليو داكن البشرة، كانت شقيقته شقراء خضراء العينين. لقد كانت مشاعرها تجاه ليو جديدة لتتحمل اي امتحان صعب.

علقت قائلة: «من المؤكد انك لا ترين شقيقك كثيراً.» وعرفت جيداً ان جوين لا تراه كثيراً ـ لقد كان دائماً في منزلها!

«كلا، لا أراه ولهذا اتيت اليوم! وهذا كان جيداً بالنسبة لي الست كذلك؟ في اللحظة التي وصلت فيها اسرع بالخروج. هل تعرفين اين اذهب؟»

نكرت هيلاري: «كلا.»

قالت جوين مبتسمة، عندما وصلتا إلى المطبخ: «لا تقفي هكذا، اجلسي. الشاي لن يتأخر. ولا أخي كما ارجو. بصدق، انه يدفعني للجنون!» حسناً، هذا ما يفعله ايضاً بهيلاري. كان الجميل ان تعرف انها ليست الوحيدة التي تعاني من سلوكه الغريب.

تابعت: «لماذا يتورط بمتاعب الآخرين، هذا ما لن أعرفه ابداً. فقط لأنه يبدو محبوباً ـ وهذا هو الانطباع الخاطىء الذي ينخدع به عادة الناس ـ ناس بالكاد يعرفهم يطلبون منه كل انواع الاشياء الغريبة والرائعة. ثنائي قابلهم حديثاً ـ نيك، لا تتجرأ بالدخول إلى هنا بحذائك المتسخ!» ادارت هيلاري رأسها بسرعة وحدقت رأساً في عيني صبي صغير. بدا في العاشرة من عمره، وشعره احمر كشعر جوين، ووجهه عابس بشكل رهيب.

بدت جوين وكأنها تكرهه كثيراً حين علقت جوين باشمئزاز: «لم اعرف ابداً في حياتي ولداً وسخاً إلى هذا الحد.»

سألتها هيلاري وهي تمنح الولد ابتسامة: «اهو ابنك؟»

«نعم. لماذا عدت إلى هنا، اعتقد انني اخبرتك ان تذهب وتلعب في الخارج.»

اعترض: «أنا جائع.»

«أنت جائع على الدوام.»

خلع حذاءه المتسخ، وتقدم ليقف إلى جانب هيلاري، حياها بسرور: «مرحباً، هل أنت التي ستتزوج عمي مات؟»

سألته بغرابة: «عمك مات؟»

«نعم، اوه، حسناً، انا اعتقد اذا كنت لا تعرفين من يكون، فأنت لا تستطيعين الزواج منه.»

ثم سأل والدته: «هل أستطيع الذهاب إلى القرية؟»

«إذا كان لا بد من ذلك، ولكن لا تأخر كثيراً، إذا لم يعد مات خلال نصف ساعة سأذهب إلى البيت.»

حمل حذاءه وقال: «حسناً.» ثم خرج.

«بصراحة» تذمرت جوين وهي تجلب الشاي إلى الطاولة وجلست: «مات هو الوحيد الذي يستطيع التعامل معه. حتى زوجي لا ينفع، الآن...»

سألتها هيلاري بتردد: «هل مات هو شقيقك؟»

وافقتها جوين: «نعم، طبعاً.» وبدت مرتبكة كما شعرت هيلاري.

شرحت هيلاري ضاحكة: «اوه، أنا آسفة، لم أدرك انه لديك إثنين.»

«اثنان؟ إثنان ماذا؟»

«شقيقين.»

عبست جوين قالت: «لدي شقيق واحد فقط. مات، اوه.» صفقت يديها معاً، بدأت بالضحك بمرح ثم تابعت: «ليس لديك أدنى فكرة من يكون مات، أليس كذلك؟»

«لا.»

«أية غبية سوف تعتقدينني، لقد افترضت انك تعرفينه. ولكن ما الذي جعلك تعتقدين انهم اثنان؟ أو لا، لا تخبريني، لقد حضر إلى هنا لملاحقة فتاة، بصراحة هذا الرجل بلغ حده!»

حدقت بالفتاة وبوجه مرتبك قالت ببطء: «لكن ليو قال...»

قالت جوين: «ليو؟ ولكن ليو هو مات؟ آه، لم اسمع احداً يناديه بهذا الاسم منذ سنوات! هل هذا هو الاسم الذي اطلعك عليه؟»

وعندما أومأت هيلاري مرتبكة تمتمت جوين مفكرة: «استغرب لماذا.»

هذا ما كانت هيلاري تستغربه بالضبط. هل كان هارباً؟ أو هل انه أراد لها اسماً خاصاً لتدعوه به؟ عبست، ونظرت إلى الأسفل وبدأت ترسم علامات على الطاولة بأصابعها وهي تحاول فك اللغز. فجأة تذكرت كلمات الولد، تجمدت وعادت تنظر إلى الأعلى بذهول، عندها نظرت إليها جوين مبتسمة وكأنها تدرك ماذا هناك.

قالت جوين بلطف: «لن أحرجك باثارة الموضوع، والآن، اين وصلت قبل ان يعود نيك ويقاطعنا؟ اوه، أجل، تلك العائلة في بورت هيدلاند.»

استفهمت هيلاري وقد شدت انتباهها إلى ما تقوله جوين: «بورت هيدلاند؟»

شرحت جوين بنفاد صبر: «نعم، انها في شمالي غربي استراليا هل تستطيعين تصديق ذلك؟» غضبها الواضح في نبرة صوتها عكس انزعاجها المستمر. «في الواقع، لقد طلبا منه الاعتناء بابنتهما الطائشة عندما جاء الى انكلترا. ماذا فعل؟ بدلاً من ان يبقى معي كما كان عازماً، استأجر هذا المكان، البعيد أميالاً عن أي مكان، فقط لكي يبقي هذه الفتاة تحت المراقبة والتي كما يبدو قد اوقعت نفسها في كل انواع المتاعب من أجل قطعة أرض...»

قاطعتها هيلاري بشدة: «مهلاً انتظري لحظة، هل تقولين لي ان ليو اقصد مات قد أتى إلى هنا لأن هؤلاء الناس في بورت هيلاند قد طلبا منه ذلك؟»

شرحت جوين: «نعم! هل تصدقين ذلك؟ بدلاً من أن يبقى مات معي وأنا التي لم اشاهده منذ أشهر وأشهر، إنه أناني!»

وافقتها هيلاري بوهن: «نعم.» وحدقت بعمق في جوين، وتراجع الموضوع في رأسها من جديد. انه مشروعاً من المشاريع بالنسبة اليه.

شبكت يديها معاً لتوقف ارتجافهما غير قادرة على الجلوس أكثر، ثم ابعدت الكرسي إلى الخلف ونهضت.

تمتمت جوين: «أوه، اقلت شيئاً ازعجك؟ انظري أنا آسفة إذا كانت صديقة لك او اي شيء من هذا النوع... ربما أخطأت في هذا الأمر.»

نكرت هيلاري قائلة: «اوه، كلا، أنا أكيدة انك لم تفعلي، ولكنك ذكرت أرض اي أرض؟»

«اوه، انا أكيدة أن الأمر لا علاقة له...»

فكرت هيلاري وهي تتمالك نفسها: «أية أرض؟»

اعترفت جوين: «الأرض التي في القرية، مات يحاول الحصول على اذن بـ...»

ضربت بيدها على الطاولة، وقاطعت كلام جوين تنكر ما تقوله: «كلا!» ولكن ماذا إذا كان الأمر حقيقة؟ تابعت تحدق في جوين، وأفكارها في تشوش تام ومعرفة ان اهتمام ليو كان بطلب من ذويها قد نسيته للحظة، حاولت ان تفكر اي نوع من الاذن يريد ليو الحصول عليه ربما نفس الأذن الذي اراد ريان الحصول عليه.

ألم يسرع ليو وراء ريان؟ ألم يظهر اهتماماً غير عادي بكل التفاصيل عن الكوخ المدمر؟ مما يعني امراً واحداً، ليو وريان مشتركان في الأمر معاً.

عدة انفعالات اجتاحتها معاً من ارتباكات وألم، من غضب ويأس. امعنت النظر بشقيقة ليو قائلة: «اوه، السافل!

الحقير.» وبدون ان تلاحظ وجه جوين المرتعب، استدارت وخرجت، واغلقت الباب وراءها بعنف. ركضت بقدر ما تستطيع عبر الحقل الموحل، وعبر الجسر المتداعي، واخيراً انهارت بجانب خط طويل من شجر السنديان حيث الجدول يميل ليحيط بأملاك الكولونيل.

شعرت بالتعب، وانحنت ببطء على جذع شجرة لتجلس، محاولة تخفيف الألم والصدمة اللتين تمنعانها من التفكير بصفاء. كانت ترتجف بشدة لدرجة ان كل شيء بدا يرتجّ امامها.

همست: «اوه، لا، لا، ليس ليو أرجو أن لا يكون ليو.» فكرت أي رجل عاقل متزن يستطيع جعل امرأة تحس بأنها مميزة، فهو لا يستأهل دموعك. قال انه يعمل في العقارات، ولكنه لم يقل أي نوع منها، وتذكرت كم كان فضولياً. حاولت يائسة ان تسيطر على نفسها بعد ان اصبح مظهرها مزري للغاية.

لم يكن اسمه ليو حتى، ولكن، ماذا يهم اسمه؟ لقد كذب أيضاً بأمور أخرى كثيرة. لماذا أراد معرفة الكثير عن ريان؟ وأين هو، وماذا يفعل الآن؟ لقد أراد ان يعرف كل كبيرة وصغيرة وقد جعلها تعتقد انه يهتم، فهي إذا اهتمت له فمن يكون أفضل منها في اقناع الكولونيل في أن يطلب من أصدقائه في المجلس البلدي بأن يعطوا الاذن له ليتمّم مخططاته؟ ولكن إذا كان الأمر كذلك فأين إذاً موقع ذويها من الأمر؟

وإذا كانوا قد طلبوا منه الحضور، فأين موقع ريان من الأمر؟ ولكن إذا كان قد عرف ريان أولاً.. وسيد جرين قال ان

لريان شريك، ألم يقل ذلك؟ إذاً لماذا أخبر جوين انه يعرف ذويها؟

صدفة؟ كلا، هذا يحتاج إلى كثير من التسليم، إذاً لماذا؟ ضغطت بقبضة يدها على جبينها في محاولة التفكير. إذا كان يعرف ريان مسبقاً، والذي يبدو انه صحيح، فهل بحث عن ذويها عن سابق قصد وتصميم ليكتشف ماذا يعرفان؟ ليرى إذا ما كانت هناك؟ نعم، هذا منطقي أكثر. لا بد ان ريان افترض انها ذهبت للبقاء عند اسرتها عندما تركها. ولكن لماذا لريان شريك استرالي؟

اختلطت الافكار في رأسها، ووصلت إلى خلاصة واحدة، وهي ان التفاصيل ما عادت تهمها الآن، وكل ما يهم هو انها غبية، وقد تغابت مرتين في سنة واحدة.

رجلان مختلفان جداً في الشكل والمضمون، ولكن كلاهما قد اعد لتحطيمها لاجل طموحاته. كان بمثابة طعنه السكين في داخلها. كيف يمكن لها ان تكون بهذه السذاجة؟ ألم تتعلم شيئاً؟

استرجعت بفكرها العام المنصرم، سنة ضائعة. سنة ذهبت سدى من عمرها، ووجدت انه من غير المفهوم لها الآن ان تفهم كيف سمحت بان يدمرها شخص سيء مثل ريان. وليس فقط هذا. لقد احرجت العالم ذات مرة بحماسها، وضحكت على الحياة، وامتلأت بالتعاطف مع هؤلاء الأقل حظاً وماذا هي الآن؟ لا شيء سوى شبح هيلاري.

وعائلتها ترتاح لجبنها، لا تدعي ريان يدمرك، قال ليو هذا، والآن هذا الامر ينطبق على ليو نفسه. ان تكون مغفلة

فهذا كافٍ، ولكن جبانة لتعذب؟ أوه، كلا، حللت الأمر، ليس مرتين بل لعدة مرات، فهي لن تمضي في إضاعة سنة أخرى من حياتها!

وجدت محرمة ورقية في جيبها فكفكفت دموعها، وبعد ذلك أخذت نفساً عميقاً ونهضت: «لن أكون الخاسرة لمرتين، أيها السفلة!»

www.elromancia.com

الفصل الخامس

حدقت حواليها في السحب الداكنة في السماء، وفي الأفق، ثم رفعت هيلاري رأسها لتسمح لنقاط المطر ان تخفي دموعها بعيداً.

كانت رؤوس الشجر تنحني بفعل الرياح القوية، وبدا كأنها هي أيضاً تتنهد. عادت ادراجها إلى الجسر، وتوقفت للحظة تحدق في المياه الراكدة، والانعكاس المتماوج لصورتها جعلها تشعر وكأنها ستبكي للأبد، اطبقت بيديها على الدرابزين وحاولت ألا تستسلم لليأس الذي ما زال يهددها بأن يجتاحها. كان شعرها مبتلاً تماماً كما ملابسها.

لفت يديها حولها في محاولة لاعادة بعض الحرارة إلى جسدها، وبدأت بالسير إلى بيتها. لم تسمع صوت السيارة تعبر الدرب في اتجاهها، وبالكادلمحتها وهي تمر، لقد كان ذلك فقط عندما صفق باب السيارة بعنف. نظرت وتجمدت، حدقت في وجه ليو المتجهم جداً، وقررت انها غير مستعدة للمواجهة معه بهذه السرعة. نظرت حواليها في هلع يائس بينما سألها: «أين كنت؟»

أرادت البكاء، وعندما حاول ان يلمسها، انفجر كل غضبها وأملها الخائب. وهي تقول: «لا تلمسني!» ومثل قطعة مبللة وموحلة حاولت الافلات من قبضته. أرجعت ذراعها إلى الوراء وتابعت تقول: «لا تحاول ان تلمسني

أبداً من جديد.» وصفعته على وجهه بقدر ما اتيح لها من قوة: «أيها السافل المستهتر، الكاذب! لا تعرف بوت هيدلاند! لا تعرف ريان...»

زأر قائلاً: «هيلاري!»

صرخت بأنفاس متقطعة: «اهدأ؟ ولماذا علي ذلك؟ لقد دخلت إلى حياتي بكل أكاذيبك وغطرستك، وطلبت مني ان ألملم شتات نفسي، وبعدها تحاول طعني في الظهر!»

صرخ عندما حاولت هيلاري الافلات منه: «لم أطعنك في الظهر، تباً! أبقي هادئة.»

صرخت بغضب: «وأنا التي اعتقدت ان ريان جرذ، أنت لا تملك الذوق والاخلاق السليمة لتستعمل اسمك الحقيقي؟»

قاطعها بلطف: «هيلاري، أنت مبتلة تماماً، باردة، غاضبة، وهذا ليس المكان ولا الوقت المناسب، ولكن هناك...»

اجابته بمرارة: «اوه، أجل، عذر ممتاز، لو كنت عرفت اسمك لعرفت انك شريك ريان، اليس كذلك؟ وهذا لم يكن لينفع! هيلاري الغبية والساذجة. لقد كان الأمر بغاية السهولة، ألم يكن؟»

«هيلاري...»

صرخت: «لا تنادني هيلاري! ولا تتجرأ على ذلك ابداً! لعبتك الصغيرة انتهت. مشروع فتاة سخيفة زجت بنفسهابمشكلة! ولكن الفتاة السخيفة صدقت الروايات الملفقة التي اخبرها إياها الرجل الاسترالي العظيم، ألم تفعل؟ حسناً؟ لا شيء يقال؟ لا أعذار؟»

كان وجهه كئيباً، افلتها ببطء وقال بهدوء وصوته بدون

اي تأثر: «انا أعرف بورت هيدلاند، نعم. أعرف ذويك، وأخوك وزوجته، لقد بقيت عندهم. تكلموا عنك، بالطبع فعلوا، ولكن لم يذكروا ولا لمرة واحدة انك فتاة سخيفة أبداً. عائلتك كانت قلقة عليك. وأنا كنت آتياً لإنكلترا...»

أكملت باستهزاء: «واه، يا لها من صدفة ان تكون بنفس المنطقة من المدينة!»

«نعم، كانت مصادفة، وهي تحصل احياناً، كما تعلمين. قلت انه من دواعي سروري ان اهتم بك او هكذا كنت. ولما لا؟ لقد رأيت صوراً لك... فيلم فيديو منزلي: كنت فتاة جميلة ـ ولما لا اوافق على الاهتمام بك؟ هذه ليست جريمة.»

وافقته بضحكة صغيرة مريرة: «كلا، ليست جريمة، إذاً لما انكرتها؟»

شرح مهموماً: «لأنك وضعت الكثير من العراقيل، لو قلت لك ان اهلك طلبوا مني المجيء، هل تعتقدين أنني كنت سأحملك على الكلام عن ريان؟»

«لكن لم يكن هناك من حاجة لتعرف كل شيء عنه.»

«هل عرفت؟ وكيف كان لي ان أعرف كل شيء عنه؟»

تكسرت كلماتها وهي تقول: «أنا لا أعرف، أعرف فقط انك تعرف! وأنك تآمرت معه لتخدعني كيف استطعت ذلك؟ وأنت تعرف ما عانيته؟ لو انك اردت اذن التخطيط للأرض بهذا القدر، لما لم تسأل؟»

قال بلطف جعلها تجفل: «بسبب انني سافل ومستهتر، ولكن هل حقاً تصدقين هذه التفاهة؟ حسناً، هل تصدقين ذلك؟»

همست: «نعم!» وبدت كثيراً مثل تلك الكونتيسة المتغطرسة التي اتهمها ذات مرة انها تشببها، بالرغم من حالة البلل والوحل. استجمعت شتات نفسها، وقالت بوضوح نهائي: «تستطيعان كلاكما ان تفعلان ما يحلو لكما. أنا لم أعد أهتم. وليس لدي أي نية في إضاعة اي وقت من حياتي بعد الآن وكل منكما لا يستأهل ذلك.»

عندما تابع التحديق فيها، ضاقت عيناه، وأصبحتا سوداوان تقريباً. شعرت هيلاري بلحظة من الهلع، بينما مياه الامطار تتقطر على وجه بدا أنه منحوت من خشب الخشب، حتى ان اللطف قد ولى عن ملامحه، وأخذت هيلاري خطوة لا ارادية إلى الوراء وتمكنت من القول بهدوء: «أنت ربحت يا ليو واتمنى من كل قلبي ان تجد في ذلك انتصاراً معنوياً!»

تابع يراقبها بصمت بينما الرياح العاصفة تتلاعب بشعرها المبلل ولم تعد تستطيع الاحتمال اكثر، ذهبت بعيداً لتسير فوق الحقل المحروث. ولم تعد تهتم إذا ما كان ذلك الاتجاه هو الذي تريد الذهاب اليه.

وشدة الغضب جعلتها تخلو من اية مشاعر، وكل ما تريده الآن هو ان تختبىء بعيداً في مكان ما حيث تلتئم جراحها بعيداً عن الأعين.

لم ينكر ذلك، ولو نكر، لربما كان هناك بعض الأمل، ولكنه لم يفعل.

عندما وصلت إلى بيتها أخيراً كان الظلام قد حل تقريباً، دخلت الى المطبخ وحدقت بفراغ أمامها. كان عليها ان تخلع ثيابها المبللة، وتأخذ حماماً دافئاً. وتصنع لنفسها

شراباً ساخناً، ولكن بدا ذلك انه يحتاج إلى كثير من الجهد. شعرت بالصقيع يغمرها انها تعبة جداً وباردة جداً لتفكر أكثر. جلست إلى الطاولة وبدون اي فكرة عما ستفعل، استغرقت بالبكاء.

كانت تتألم بيأس، وبكت إلى أن لم تعد بامكانها البكاء، إلى ان شعرت بالغثيان وبالصداع الشديد، وعندما ذهبت إلى غرفتها دخلت السرير وهي ترتجف بين الاغطية الباردة.

• • •

لم يكن هناك شمس دافئة لتحيي هيلاري في الصباح التالي عندما استيقظت ولا سماء زرقاء، فقط الغيوم الرمادية الكئيبة نفسها التي اعتادت عليها. وأحداث الامس فاضت دون توقف في خاطرها وامتلأت عيناه بدموع يائسة.

حدقت بحزن في السحب المتلاحقة عبر السماء. أربعة وعشرون ساعة مضت منذ ان نظرت للمرة الأخيرة إلى ذلك المشهد. راقبت البرادي الزرقاء تتحرك بفعل الرياح عبر النوافذ غير المحكمة الاقفال.

سألت بيأس: «آه يا ليو، لماذا؟»

مسحت دموعها بيديها مثل طفلة، قامت من السرير وبسرعة ارتدت معطفها المنزلي.

وبينما كانت تضع يدها الباردة في الجيب، عثرت اصابعها على قصاصة ورق، لكنها لن تقرأ ما فيها، فهي بلا شك ملاحظة من ليو. أخرجتها، وقطعتها إلى قطع

صغيرة ورمتها في الوعاء الذي كان لا يزال على طاولة الزينة مثل قطعة اثرية بشعة.

ارتجفت دون التمكن من السيطرة على نفسها. نزلت إلى الاسفل، غير قادرة على مواجهة فكرة الطعام، صنعت لنفسها بعض الشاي. لقد أرادت ان تهرب بعيداً، وان لا تراه مجدداً، ولكن لا يوجد احد لتذهب إليه. كما لا تستطيع تحمل نفقات الفندق، مهما كان رخيصاً، لذا كان عليها البقاء في البيت. ولكن فكرة البقاء بين اربعة جدران كل هذا اليوم وكل يوم إلى ان يعود ليو إلى استراليا ستدفعها إلى الجنون.

تستطيع العودة إلى العمل، افترضت، ولكن ان هي فعلت فان كل واحد سوف يعرف لماذا.

أي انسان ذو تفكير سليم يترك اجازته من اجل مصلحة العمل! حسناً إذاً، سوف تكتشف نورفولك، قررت اخيراً، هذا الأمر لاسبوع فقط. سبعة أيام، انه ليس بالوقت الطويل، أليس كذلك؟

إذا خرجت باكراً كل صباح وعادت في وقت متأخر في المساء، فستكون فرصة مقابلتها مع ليو قليلة جداً. ومع ذلك فانه من غير المحتمل ان يبحث عنها.

لو ابدى الخجل لما فعل لهان الامر. ولكنه لم يفعل، فقط غضب بهدوء، فكرت مقطبة. ولما عليه ان يبدو غاضباً؟ وقررت ان ذلك بسبب فشل مخططاته، لذا ابعدته بقوة عن افكارها.

بعد ان اغتسلت وارتدت سروالاً وجزمة جلدية وسترة صوفية سميكة تذكرت قبل ان تخرج إلى أن تأخذ معها

المعطف وصعدت إلى سيارتها وانطلقت باتجاه اليرموث.

عندما يكون هناك أشياء كثيرة لتفعلها، واهدافاً لتحقيقها، يمر الوقت سريعاً.

عندما لا يكون للمرء سوى قتل الوقت، فانه يمضي ببطء مستحيل.

نوت ان تعود إلى البيت في وقت متأخر في المساء في الحادية عشر على الأقل، ولكن ما ان شارفت الساعة على السابعة حتى شعرت بكآبة تجتاحها، اضطرت معها الى العودة.

كانت معظم مناطق نورفولك مهيئة للسياح، وشهر نيسان (ابريل) يبدو حزين، بارد، رطب وخالي.

فتحت الباب الخارجي، علقت المعطف على المشجب. ثم اغلقت الباب واتكأت عليه للحظة شاعرة بالتعب وبالبرد الشديد.

استطلعت البيت الموحش بعينين كئيبتين، وبدلاً من ان يكون ملاذها كما كان ذات مرة، أصبح الآن سجناً. مضت بحزن إلى المطبخ، التقطت الابريق وما لبثت ان اعادته الى مكانه من جديد.

كانت تشعر بالمرض لكثرة تناولها الشاي. أخذت تتجول في البيت بيأس، ثم ذهبت إلى غرفة عملها، اضاءت النور وحدقت في المقعد والأدوات وقطع الأخشاب التي بدت مهملة، ميتة، فتنهدت بنفاد صبر واطفأت النور مجدداً. أغلقت الباب وصعدت الدرج مهمومة.

بينما كانت تدفع باب غرفتها صرخت بفزع عندما تحركت صورة داكنة وبدت من خلال ظلام الغرفة.

سألها ليو قائلاً: «ما بك؟» لمسك بيدها وادخلها إلى الغرفة. «هذا أنا فقط!»

سألته بمرارة: «وهل هذا من المفترض ان يجعلني اشعر أفضل؟ دع يدي!» وانتفضت تحرّر نفسها من يده، واضاءت النور متابعة: «ماذا تفعل في غرفة نومي؟»

«ابحث عنك! وماذا يمكن ان أفعل غير ذلك؟»

«كيف لي أن أعلم؟ وأخرج من هنا!»

قال بمرارة: «كلا، علي ان اتكلم معك! تمنيت انك ربما تكونين قد هدأت.»

صرخت: «اهدأ؟ ولماذا علي ان أهدأ؟» بيأس وغضب اقتربت منه بقصد صفعه ولكنه التقط يدها بسرعة.

قال بوحشية: «كان من الأفضل لو أنك هاجمت ريان، لأنه إلى جانب رأيك الحقير بي، فأنا لم أفعل اي شيء بقصد اذيتك، كما لم افعل اي شيء يجعلني احتاج لأن اندم!»

صرخت: «إذاً لديك الاخلاق الحسنة!» مرت بغضب من امامه وذهبت لتقف إلى جانب النافذة وهي تدير له ظهرها.

أخبرها بتجهم: «كلا يا هيلاري، لم أفعل، الآن، إذا كنت تحبين ذلك ام لا، سوف نتكلم.»

«لا يوجد لدينا ما نتكلم به.»

«نعم لدينا! مثل وعلى سبيل المثال، كيف من المفترض انني عرفت ريان.»

«من المفترض؟»

«نعم، من المفترض!» تقدم إلى ناحيتها، والتقط ذراعها وأدارها لتواجهه فصرخت: «لا تلمسني!»

سألها بخبث: «لماذا؟ خائفة من أن تستجيبي؟»

«لقد قلت ان أي رجل ماهر متعقل يستطيع جعل امرأة تشعر بانها مميزة. حسناً، دعني اخبرك بشيء آخر أية امرأة ماهرة متعقلة تستطيع خداع رجل وتجعله يفكر انه...» ثم صرخت عندما ضغط على كتفيها وسألها: «يعني؟»

تحذير اختارت هيلاري ان تتجاهله، لماذا عليه ان يقوم بكل شيء بطريقته الخاصة؟ هل يعتقد انه الوحيد القادر على الكذب والخداع؟ واجهته مدافعة وقالت: «يعني انه سوف يضربها.» وتراجعت إلى الوراء ولكنه تقدم نحوها مجدداً.

ثم فجأة، اصبحت حرة بعد ان دفعها ليو بعيداً بقوة كافية إلى النافذة التي ارتجت من جراء اصطدامها بها.

قال بغضب: «والآن انصتي إلي، التقيت بذويك بالصدفة اصطدمت طائرتي في ساحتهم الخلفية. اخرجني مايك منها وأخذني إلى المنزل. عندما استعدت وعي وجدت انني قد اصبت بعمودي الفقري وامرني الطبيب ان أبقى جامداً في مكاني وإلا فان هناك احتمال ان ابقى مقعداً. هل تستمعين إلي حقاً؟»

تمتمت: «نعم.» لكنها كانت عن قصد تتجاهل التلميحات في عبارته، عن ذلك الجسد القوي الذي قد يكون في كرسي متحرك.

«أنا بالتحديد لست بالرجل الصبور، وفكرة الاستلقاء على ظهري لأسابيع جعلتني اشعر وكأنني انتحر ولو لم يكن أهلك... حسناً، انهم كانوا رائعين...»

قاطعته باستهزاء: «حسناً، ربما كانوا كذلك بالنسبة لك، خصوصاً إذا كانوا ينون إرسالك في مهمة تجسّسية!»

صرخ قائلة: «اخرسي!» وعندما هدأت فيما ظل وجهها متمرد، تابع بتجهم: «كنت مستلقياً على ظهري في غرفتهم الاضافية، متألماً ومجبراً على البقاء جامداً، أراقب برامج التلفاز الذي قام أهلك اللطفاء بتشغيله بالغرفة. استمعت إلى الراديو، والتسجيلات، وشاهدت الأفلام، ولم أجد أي اهتمام بأي من ذلك، في محاولة يائسة اعطتني والدتك بعض الأفلام المنزلية التي قاموا بتصويرها عبر السنين. وراقبت فتاة سمينة في الخامسة من عمرها. راقبتها تنمو لتصبح فتاة قوية وابتسامتها تحاصر العالم، راقبتها تضحك. راقبتها تبكي وراقبتها تنمو لتصبح امرأة واثقة وجميلة تملك نفس التكشيرة. امرأة تحب الحياة. امرأة تقحم نفسها في الصعاب من أجل من تحب، امرأة تواجه العالم بدون ان تبكي خوفاً. لذا اردتها لي!»

كانت تريد البكاء، وكانت ترتجف كثيراً إلى درجة انها استغربت كيف تستطيع الوقوف.

لقد خشيت ان تصدق كلامه، لذا نظرت اليه وسألته باستهزاء: «انتهيت؟»

أجاب ليو: «كلا يا هيلاري، لم انته، وأنت عليك ان تقفي هناك وتسمعيني إلى ان انتهي. لم أكن بحاجة لأي اقناع كي احضر لرؤيتك، لم يلو أحد ذراعي ولم أكن اخطط للقدوم إلى انجلترا، ولكنني أردت مقابلتك وجوين كانت مجرد عذر وهي تعيش في نورفولك. عندما اكتشفت ماذا يحدث أقنعت الكولونيل بأن يذهب في عطلة

وبعد ذلك عندما قابلتك، لم استطع تصديق عيناي. لم تبدي أبداً كالفتاة في الأفلام.»

«هكذا، مثل دون كيشوت، قررت ان تصلح طاحونة الهواء؟ مشكور كثيراً، يا ليو، ولكن بالكاد اصدق. حسناً، تابع، لا تقف هناك، أنا اكيدة ان الباقي رائع. ولكن عندما حاولت اكتشاف سبب عدم تمكن ريان من الحصول على إذن التخطيط قررت ان تفعل شيئاً بنفسك، وكانت هناك هيلاري الغبية، جاهزة وبانتظار ان تقع بين يديك تستدرجها، وتحصل على الأذن لخططك.»

«لا تكوني سخيفة!»

صرخت: «هذا ليس هراء، انه يكمل بعضه بعضاً!»

قال بهدوء: «نعم انه يكمل بعضه بعضاً. وهكذا هو تفسيري. طلبت منك ان تثقي بي يا هيلاري. ثقة كلمة صغيرة تعني الفصل بين السعادة واليأس. أنت من الواضح قررت التصديق أنني نويت عن سابق تصور وتصميم ان أدمرك. مع علمي المسبق بالأذى الذي تعرضت له.»

سألته بمرارة: «ولما لا؟ هذا فقط ما انتظره من الرجال، ألستم كذلك؟»

بما انها مضت في طريقها بحيث انها لن تتراجع، اكملت بسرعة، ومتصنعة الدهشة: «آه، لا تخبرني ان كل هذه الأسئلة عن ريان كانت ببساطة من أجل استدراجه ليعيد المال؟»

بعد وقت قصير من الصمت المتوتر حتى بدا وكأن الهواء نفسه انقطع، قال بثقة كبيرة وبلطف خطير: «نعم.» أخذ ورقة مطوية من جيبة. وناولها اياها: «يبدو انني وقعت في

حب وهم. اعتقد ان لديك الشجاعة وانك شخصية مثيرة، ولامعة، ولكن خسارة واحدة جعلتك محطمة، أليس كذلك، يا هيلاري؟ تلومين اي شخص عدا نفسك، حسناً، فليكن كذلك. لقد اكتفيت ولكن دعيني أقول لك شيئاً واحداً، شفقتك على نفسك سوف تحطمك بكل تأكيد أكثر مما فعل ريان.»

نظر إليها باحتقار ثم استدار ومضى خارجاً.

مصدومة وغير مصدقة، فتحت الورقة المطوية ببطء وبيدين ترتجفان دون ان تتمكن من السيطرة عليها. واستلزمها وقت لتدرك ما هي.

انه شيك بقيمة المال الذي أخذه منها ريان بالضبط.

همست: «آه، كيف؟»

سقطت على جانب السرير، حدقت في الشيك الذي بيدها. انه لم يكن يكذب كان يقول الحقيقة. وهي اتهمته... لكن لم تكن غلطتها كلياً!

لو شرح لها في البداية لكنه كذب وتجسس عليها. ولن يغير حقيقة انه بحث عنها عن قصد لأن ذويها طلبوا منه ذلك. ولكن كيف استطاع استرجاع المال من ريان؟ لم يكن ريان ليفعل ذلك بمحض ارادته، هي تعرف ذلك.

بينما كانت تمرر يدها بارهاق على جبينها، حدقت في الشيك إلى أن أصبحت الكلمات غير واضحة امام عينيها، فكل كلمة رشقته بها وكل اهانة وجهتها له بدت وكأنها تتلاشى من فكرها.

احتاجت بيأس لأن تبرر تصرفاتها، وان تقلل من سلوكها، فكرت بكل ذلك من جديد منذ البداية إلى ان جعلت الأمر اقل اهمية عما كان عليه من قبل.

تنهدت بعمق وقد ادركت بان لا خيار لها، ليس إذا م
أرادت بأية وسيلة ان تجعل الأمور صحيحة. وقفت بتثاقل
مفكرة كم كان غاضباً حين غادر، ووضعت الشيك بجانب
الوعاء ثم نزلت إلى اسفل غير مهتمة بالوقت، ذهبت إلى
الباب الخارجي.

خرجت ومشت عبر الدرب في الظلمة الدامسة، دفعت
الباب الخلفي لمنزل الكولونيل، وعندما رأت الضوء
الخافت الآتي من الردهة مشت في ذلك الاتجاه.

كان ليو يقف إلى جانب خزانة في الزاوية، وظهره لها
ولكن هذا لم يمنعه من ان يشعر بها.

قال بيأس: «إذهبي بعيداً، يا هيلاري.»

«جئت لاعتذر منك على ما بدر مني ولاشكرك على
الشيك.»

«حسناً لقد شكرتني. وداعاً الآن.» ومشى ناحية المقعد
ورمى بنفسه عليه.

حدقت فيه قائلة: «لو لم تكذب علي...»

انفجر قائلاً: «آه، ماذا كان علي ان افعل؟ ان آتي وأقرع
بابك لأخبرك بأن والدتك قلقة عليك؟ هل من الممكن ان
تكتبي وتخبرينها بما يحدث؟»

تمتمت بصوت منخفض: «حسناً، كان يمكن ان تكون
صادقاً أكثر.»

«آه، صادقاً أليس كذلك؟ هل كان من الصدق ان تكذبي
على أهلك؟ تؤذيهم؟ هل كان من الصدق ان تلعبي دور
مأساوياً، وتدفعي كل واحد إلى الجنون بشفقتك على
نفسك؟»

«لم تكن شفقة على النفس.»

سألها بغضب: «وماذا كان غير ذلك، إذاً؟»

«لقد كنت مجروحة، تباً!»

«هكذا العديد من الناس! انها حقيقة الحياة! أنت في
السابعة والعشرين وليس في السابعة! الحياة مليئة
بالصدمات، وهي ليست قصة خرافية.»

هتفت: «لم أقل ذلك أبداً!» ونسيت تماماً انه من الأفضل ان
تسترضيه. سألته: «وماذا كان علي ان أفعل؟ فقط اتجاهل
الأمر؟ واتظاهر بانه لم يحصل ابداً؟ هل من الخطأ طلب
بعض التعاطف؟»

سألها باستغراب: «تعاطف؟ لم تريدين التعاطف! كل ما
كنت تحتاجين إليه بعض التغيير!»

تردّدت للحظات قبل ان تقول بغضب شديد: «أنت فاسد،
أناني ومنافق! أنا لم أسألك أن تأتي وتتجسس علي...»

قاطعها: «كلا، والدتك فعلت! ولماذا؟ لأن ابنتها الغالية
كانت بغاية الانانية، ومنغمسة في يأسها لتهتم بالآخرين
تأذوا ايضاً! كيف باعتقادك شعروا عندما كانت عزيزتهم
هيلاري مشغولة جداً ولا تستطيع الذهاب إلى حفلة زفاف
شقيقها؟»

«لكنني شرحت...»

قاطعها بعدم شفقة وهو يحاول النهوض: «شرحت؟»

عبر الغرفة، ونظر اليها بوجه قاس وغاضب: «أوه، نعم
يا هيلاري، شرحت، وبطريقة جعلتهم يعتقدون انهم لا
يستطيعون ازعاجك.»

«كلا!»

همس: «بلى، لأنك تمضين الوقت مع عزيزك ولا تريدين الإزعاج!»

سألته، وصوتها ينضح بالألم: «كلا، كيف استطيع ان أشرح انني لا أملك المال لأذهب؟ وأن الرجل الذي حذروني منه أخذ مالي...»

«ولما لا تستطيعين؟ ألا تعتقدين انه كان من الأفضل اخبارهم بالحقيقة بدلاً من جعلهم يصدقون انك اصبحت انانية جداً لتهتمي بهم؟»

همست بيأس: «ولكن هذا ليس حقيقي.»

سألها بلطف أكثر: «كلا، ولكنهم لم يعرفوا ذلك.»

نظرت إليه بتعاسة وسألته بيأس: «قلت انك تريدني، كيف ذلك وأنت تعتقد انني أنانية بهذا الشكل؟»

قال بقرف: «أوه، اكبري، حتى لو صدقت الاسوأ، فأنت لا زلت تحتاجين إلى أحد ما. لا تستطيعين التغاضي عن مشاعرك بسبب رأسك العنيد يقول لك بأنك لا شيء!»

سألته بهدوء، وصوتها متهدج: «وهل هذا ما أنا عليه؟ لا شيء؟»

استنكر بحزن واستدار مبتعداً: «كلا، إذهبي إلى البيت، يا هيلاري.»

لكنها لم تتحرك بل بقيت جامدة مكانها لأنها بحاجة يائسة لأن تعرف شعوره فسألته: «وبالنسبة للحب؟»

أدار رأسه فبدت عيناه داكنتين أكثر من أي وقت مضى، سألها بوضوح: «ماذا تعتقدين؟»

اعترفت قائلة: «لا أعرف.» في تلك اللحظة لم تفعل شيئاً ولم تستطع أن تستنتج أي سبب.

«إذاً اقترح ان تذهبي وتفكري بالأمر.» وادار ظهره مبتعداً ليحدق في النار.

بنظرة أخيرة نحوه، استدارت وخرجت من البيت. متأملة اكثر، منذهلة ومرتبكة أكثر مما توقعت انها يمكن ان تكون عليه منذ وقت قصير، ومشت إلى الكوخ المظلم حيث دخلته وصعدت إلى غرفتها.

www.elromancia.com

الفصل السادس

الاجهاد الجسدي والفكري جعلا من هيلاري تنام بعمق، كان الوقت قد تجاوز العاشرة صباحاً عندما فتحت عيناها أخيراً، متوترة وباردة، واخذت أحداث الأمس تتسارع امام عينيها. فكري بالأمر قال لها، ولكن بخصوص ماذا؟ أزاحت الأغطية بنفاد صبر. وأسرعت إلى الحمام لتغتسل بالماء الساخن.

لم تعرف حتى كيف ستتحمل نفقات فاتورة الكهرباء، ولا أية فاتورة اخرى. هذه الأفكار لم تجعلها تشعر بأي تحسن أبداً.

فكرت اليوم بكلماته، وأخذتها بعين الاعتبار، مما زادها تألماً. حاولت أن تبرر سلوكها الذي بدا الآن وكأنه لا يحتمل اي تبرير. لو أحبها، او بدأ يحبها وهي أمر لا تزال تجده مستحيلاً، فان اتهاماته قد قتلت ذلك الشعور بدون شك.

لكن مع ذلك، لم تكن غلطتها كلياً. ألم يكن مذنباً هو أيضاً؟ أو هل أنها اصبحت وجلة إلى درجة انها تشك به وبأي شخص آخر؟

لم تكن قادرة على الاستقرار، واخذت تتجول في الكوخ، تلتقط اشياء، ثم لا تلبث أن تعيدها مكانها، بدون أي فكرة واضحة عما ينبغي أن تفعله. ولكنها لم ترد أن يعود إلى استراليا وهو يفكر بالسوء عنها، أرادت أن تجعل كل شيء على ما يرام. ولكن كيف؟

توقفت أمام المرآة في غرفة الجلوس، انها المرآة التي دفعها لتحدق فيها، وهالها ما رأت، لقد بدت مريعة. عيناها كانتا كئيبتين، ظلالات داكنة حولهما، وجهها شاحب، وشعرها لا حيوية فيه. ما هذه الفوضى؟ بدت وكأنها في الخمسين من عمرها.

إذا ما ذهبت لرؤيته الآن فمن الممكن أن مظهرها سوف يؤثر سلباً على مشاعره من المحتمل أنه شاكر الآن لأنه تمكن من الفرار بسرعة. وهي نفسها لم تكن متأكدة من مشاعرها تجاهه. لكنه يعجبها.

ناجت على والدتها على هذه الفوضى التي اقحمت نفسها فيها، وكل ذلك بسبب كبرياءها السخيف وعزمها على أن تلطم على خدها اولاً قبل أن يتمكن الآخرين من معرفة ما بها! وهل والدتها حقاً تعتقد أنها اصبحت أنانية؟ ومايك؟ وشقيقها؟

حدقت بنفسها طويلاً وشعرت فجأة برغبة عظيمة لأن تسمع أصواتهم من جديد، وان تقوم بالعمل الصحيح، هذا بدون أن تتوقف لأن تفكر بالأمر أكثر. صعدت إلى غرفتها بسرعة لتحضر حقيبة يدها. كانت بمنتصف الطريق، خارج باب الكوخ عندما تذكرت الفارق الزمني بين انكلترا واستراليا.

تتقدم الساعة في استراليا بحوالي العشر ساعات من توقيت انكلترا، وإذا اتصلت بهم الآن فان الوقت يكون في منتصف الليل.

خاب أملها، واستدارت لتعود ادراجها. ولكن فكرة البقاء ما بين أربعة جدران لبضع ساعات جعلتها تشعر وكأنها

تنتحر فتنهدت بعمق واغلقت الباب. قررت أن تذهب في نزهة ـ ربما بعض الهواء المنعش سيجعلها تشعر بالتحسن فتنجلي افكارها.

سواء كانت بوعيها أو لا، فقد وجدت نفسها بجانب الأرض حيث كان يوجد الكوخ الذي اشترته مع ريان ذات مرة.

منظر كئيب ومحزن يمكن أن يتسبب بالذبحة القلبية، لكنها وجدت الآن أن المنظر لا يستطيع أن يؤذيها أبداً. كان هناك يافطة كتب عليها كلمة مباع، وقفت تحدق للحظة وكأنها قد تجد الحل السريع لكل مشاكلها.

قال فرانك جرين من ورائها: «اخبار رائعة، اليس كذلك؟»

ابتسمت قائلة: «نعم.»

تابع: «من المحزن اننا لم نفكر بذلك بانفسنا، من دون شك فكر ليو في ظرف خمسة دقائق بتلك الخطة! وأنا أدعو نفسي رجل اعمال! أوه، حسناً، من الأفضل أن اعود إلى الدكان والا سأجد طابوراً من الزبائن ينتظرني.» ثم ربت على كتفها وأضاف: «أنا حقاً ممتن لك، يا آنسة، وهكذا سوف يكون الكولونيل.» حياها بيده وابتعد ناحية دكانه.

ما الذي لم يفكروا به بعد؟ تساءلت متعجبة. أية خطة؟ لقد باعوا الأرض، ألم يفعلوا ذلك؟ وحدقت بفراغ في الحجارة الصغيرة التي كانت كل ما بقي من الكوخ.

حاولت أن تتذكر نفس الكلمات التي قالها ليو عندما سلمها الشيك او التي قالتها هي. لقد سألته باستهزاء إذا قام بخداع ريان ليجعله يعيد المال، وقال نعم، هل كان هذا ما قصده السيد جرين؟

مالت على بقايا حائط من طوب، وحاولت أن تستعيد كل

ما حدث منذ أن جاء ليو. تصرفه، والأشياء التي قالها، تحاول بعد معرفة معلوماته الجديدة أن تجد خطأ في ما قاله، واستغربت بعد ذلك لماذا تهتم. هي تعرف من صميم قلبها بأنه قال الحقيقة. وغلطتها هي في قلة ثقتها بنفسها وبه عادت الى الكوخ مفكرة انه لا حاجة لها لأن تبقي في انكلترا الآن.. شكراً لليو فبامكانها الآن أن تتحمل نفقات العودة إلى استراليا.

وقفت تفكر في المطبخ الصغير، لكنها استدارت فجأة وخرجت من جديد. سوف تتصل بالوكالة، لتبلغهم بما هي عازمة عليه، وما أن تصبح حرة سوف تسافر إلى اهلها. لم ترد البقاء هنا، ليس بدون ليو، اعترفت اخيراً. وعندما ترددت أمام الهاتف واجهت هيلاري مشاعرها، انها تحبه، ليس مثل حبها لريان، بل مختلف. وإذا ذهبت إلى استراليا، ألن تكون هناك اية فرصة ليتقابلا؟ فتحت باب غرفة الهاتف وتناولت السماعة لتطلب رقم مكتبها، ثم تكلمت بسرعة وحماس مع مديرها.

عندما اعادت السماعة إلى مكانها شعرت بان عينيها تمتلآن بالدموع. لم تكن تستحق عطفهم وتمنياتهم الطيبة، فبالكاد كانت صديقة مرحة مؤخراً. ولم تكن حتى بحاجة لأن تبلغهم حتى، فبامكانها ان تذهب في اي وقت تفضله وتجمع اغراضها الشخصية. أحست بشعور عميق بالندم لكونها خذلتهم بشأن رحلة روما وأثينا، ولكن حتى ذلك تجاوزوه، وأخبروها بأن لا تقلق.

مشت ببطء عائدة إلى الكوخ بعد أن أغلق باب غرفة الهاتف، كل ما بقي لها الآن هو ان تنتظر الوقت الملائم للاتصال بوالدتها.

في العاشرة مساء من تلك الليلة، مشت في ذلك الدرب مجدداً الى غرفة الهاتف ومعها بعض النقود المعدنية ثم طلبت الرقم ببطء.

في الواقع، لقد بكوا أكثر مما تكلموا، اعتذروا كثيراً، وكان عليها بعد ذلك أن تحيي مايك، ووالدتها مرة أخرى، بفرح ودموع ووعد بأنها ستعود إليهم.

نعم، قريباً جداً، سوف تتصل الأسبوع القادم، نعم لديها المال الكافي للسفر، سوف تشرح كل شيء عندما يلتقون. لقد قالت لها انها لم تعد ترى ريان لكن احداً لم يذكر ليو.

أحاطت ذراعيها حواليها، وقفت في غرفة الهاتف لوقت طويل بعد أن اعادت السماعة وتساءلت لما لم تتصل بوالدتها من قبل، لقد كان كل شيء سهل بشكل غير معقول.

مشت ببطء إلى المنزل، ويديها في جيبي سترتها، سوف تراهم قريباً ولكن عليها أولا في الصباح، وقبل أن تحجز لرحلتها، وتجمع أغراضها، عليها أن ترى ليو، وتحاول أن تجعله يفهم، وتطلب منه السماح.

بقيت مستيقظة لوقت طويل تلك الليلة، تستعيد الحوار الذي اجرته مع والدتها، وتحاول أن تفكر بما ستقوله لليو، حتى انها حفظت حوارات كثيرة ومختلفة حتى ظنت في النهاية انها سوف تجن. ماذا تقول لرجل يعتقد بأنها لا شيء؟ كيف تستطيع نسيان ذلك عندما تتذكر تعليقاته الدامية التي جعلت عينيها مليئتين بالدموع؟

• • •

عندما استيقظت في الصباح التالي، ارتدت معطفها

المنزلي ونزلت إلى المطبخ لتحضر الشاي، لكنها وجدت ريان يجلس إلى الطاولة فتوقفت وقد شعرت بالصدمة.

حياها بلطف: «مرحباً يا هيلاري.»

الابتسامة التي منحها اياها كانت رائعة، ولكنها الآن أصبحت قادرة على فهم الهدف من ورائها، مزيفة كلياً وخالية من الدفء. الابتسامات تأتي من القلب، وحدقت فيه وهي تقيمه كانسان بينما تساءلت كيف يمكن أن تكون غبية إلى هذا الحد.

قالت بوضوح: «إذهب بعيداً يا ريان.» واستدارت مبتعدة منه. ملأت الابريق بالماء ثم وضعته على الموقد.

قال ملمحاً باستغراب: «تبدين في حالة يرثى لها.»

رافضة أن تجر في نقاش معه، قالت بحدة: «فقط قل ما عندك وارحل.»

«حسناً جداً، أتيت لأقول انني آسف. أعرف انني تأخرت، ولكن لهذا اتيت ولأتأكد من حصولك على الشيك.»

سألته غير مصدقة: «آسف؟ هل حقاً تريدني ان اصدّق ذلك؟ وكأنك كنت لطيفاً معي مهتم ولم تسبّب لي بأية لحظة حزن؟ وهل تتوقع مني حقاً أن اصدق أن اعادة الشيك كانت فكرتك؟ هيا يا ريان قد اكون ساذجة، مع اني كنت كذلك ذات مرة.»

رد عليها بعدم اكتراث: «كلا؟ أوه، حسناً، كما تريدين.» وبعدها، تابع بخبث: «تطيرين قليلاً في العالي، ألست كذلك؟ ألا خشيت السقوط على وجهك مباشرة؟»

سألته: «ماذا تعني؟»

«فيرلاندر يا عزيزتي هيلاري، فيرلاند.»

سألته باستغراب: «من؟»

«أوه، هيا، لا تتغابى علي! مات فيرلاندر ـ الرجل الثري.»

استعلمت قائلة: «ليو؟»

«ليو؟ ومن يكون ليو هذا؟»

تذكرت فجأة نقاشها المرير مع جوين، فقالت: «مات هو ليو! عنيت انني لم اكن اعرف أن اسمه فيرلاندر.»

«أوه.» وكان لا يزال يحدق فيها بتمعن، ثم انفجر فجأة بالضحك: «أنت لا تعرفين من هو؟»

«بالنسبة لتعليقاتك، لا، ولا أريد منك أي توضيح!» قالت ذلك بسرعة. لقد ادخلت نفسها بكل انواع المتاعب بسبب استماعها لآراء الآخرين، ولا تريد أن ترتكب نفس الغلطة من جديد. ثم تابعت: «وإذا جئت لتحاول افتعال المتاعب، يا ريان فلا تزعج نفسك.»

سألها بلطف نوعاً ما: «استحق ذلك منك.»

حدقت فيه هيلاري باستغراب، فأصرّ قائلاً: «ولكنني آسف.»

بدا آسفاً إلى درجة انها كانت بخطر من تصدقيه فعلاً، إلى أن استدركت بعقلانية، وبازدراء شديد، استدارت مبتعدة لتعد الشاي وقالت: «اليوم الذي ستشعر فيه بالندم على افعالك سيكون اليوم الذي لن يمر في مفكرتك.»

«لقد كان يجمعنا شيء جيد ذات مرة...»

صححت كلامه بهدوء: «اعتقدت انه كان يجمعنا شيء، ولكن عندها حطم شخص ثقتي بنفسي وقدرتي على منح الثقة للآخرين. عندما انظر اليك الآن، لا استطيع أن أعرف

كيف استطعت حقاً أن أفكر بأنني أحب شخصاً سطحي وأناني مثلك وإلى هذا الحد.»

كان هذا صحيح، فقد قلقت ذات مرة من انها عندما ستراه مجدداً كل مشاعرها القديمة يمكن أن تعود اليها، ولكنها لم تشعر بشيء. انحنت على ظهر الكرسي وسألته: «لماذا كتبت وأخبرتني بأنك لم تحبني أبداً؟ لقد كان هذا مؤذياً جداً، حتى لك.»

شرح ببساطة: «لأنني أردتك أن تكرهينني، اعتقدت أنه من الاسهل لك ذلك.»

أخبرته بصراحة: «أوه، وفعلت ذلك، ولكن إذا كانت هذه نيتك، وهذا ما أشك فيه، ألا تعتقد انه لكان من الأفضل لو تركتني مع بعض الأوهام؟»

«ربما، أنا لم أقصد أذيتك، وأنت تعرفين.»

نظرت إليه بقرف، ثم استدارت مبتعدة لتأتي بفنجان وصحن من الخزانة قائلة: «أرحل يا ريان، ليس لدينا أي شيء أكثر لنناقشه.»

وافقها: «حسناً.»

تفاجأت من موافقته بهذه السهولة، وحدقت فيه متشككة.

استخلص وهو ينهض ليدنو منها: «فقط اخبريني أين فيرلاندر.»

«لماذا؟»

«لأنه يا عزيزتي هيلاري، يدين لي ببعض المال.»

«يدين لك ببعض...» وعادت كل الشكوك القديمة والمزعجة من جديد، لكنها تجاهلتها بسرعة وسألته: «ولماذا يدين لك بالمال؟»

قررت هذه المرة أن تستوضح الأمور، وتسأل، وان لا تفترض على مزاجها.

جاء تعبيره غامضاً، حدق فيها لثوانٍ طويلة ثم قال: «هل أخذت الشيك أم لا؟»

«اخذته.»

«إذا هذا هو المال الذي يدينه لي.»

استنتجت: «آه، دفعت لليو، وليو دفع لي...»

قال مشفقاً: «لا تكوني غبية! اشترى فيرلاندر الأرض مني بسعر بخس! وبعد ذلك باعها...»

فهمت كل شيء وقالت ضاحكة: «ثم باعها بسعر خيالي!» والآن كيف تمكن ليو من ذلك؟ استمتعت من سخرية هذا الأمر، وسرّت بالفعل لاكتشافها أن ريان لم يستفد بشيء، تابعت بنعومة: «دعني أذكرك يا ريان، لقد كان مالي قبل كل شيء، وليس مالك؟ والآن إرحل - وإذا كنت تفكر بأن تتعامل مع ليو بالعنف، فأنسى الأمر. سوف يقطعك إرباً.»

«فقط أخبريني أين هو.»

«لا أعرف، وحتى لو عرفت فلن أخبرك.» ثم تجاهلته، لتضيف الحليب والسكر إلى الشاي.

عندها قال: «حسناً، أتوقع ان اي شخص في القرية سيفعل...»

عندما قطع كلامه فجأة، رمقته بفضول وأخذتها المفاجأة كلياً عندما حاول ان يجذبها اليه، فدفعته بقسوة، وصاحت به: «لم يكن ذلك مسلياً جداً يا ريان.»

سألها بخبث: «لا اقارن بليو؟ اهذا ما تحاولين قوله؟

وهو لا يرغب بالزواج منك أكثر مني.» ابتسم ساخراً وفتح الباب الخلفي وخرج منه.

اقفلته بعنف، وتعبير الاشمئزاز على وجهها، سكبت هيلاري الشاي في الفنجان وجلبته إلى الطاولة وجلست تحتضنه بين أناملها.

من قال اي شيء عن الزواج؟ مثل هذه الفكرة لم تراودها أبداً، ولكن ليو ثري؟ كم من تلك العبارة الصغيرة صحيح، وكم بالغ ريان؟ لا يبدو عليه الثراء وباستطاعته الفوز بقلوب الاسترالیات. ولكن ثري؟

نسيت الشاي، وحدقت بفراغ عبر النافذة. فكري بالامر. أشار اليها ليو عندما سألته عن الحب.

همست: «فيرلاندر، مات فيرلاندر.» تذكرت الشيك، وصعدت إلى الطابق العلوي ونظرت إلى التوقيع على الشيك، م.هـ. فيرلاندر. إلى ماذا يرمز حرف «ه» هاري؟ هوراس؟ هيبوقراطمس؟

بابتسامة صغيرة، ملست على الورقة وقد استنتجت انها من ريان، ولكنها لم تكن بالطبع، ولو انها فكرت بعقلانية منذ البداية لعرفت انه من غير المعقول أن تكون منه ومن غير الممكن أن يتخلى عن ماله بارادته - لكن هذا ما فعله بالتحديد. ولكن كيف تمكن ليو من اقناعه؟ لا بد أن ليو تكبد العديد من الصعاب من اجلها. لماذا؟ بالطبع لا يمكن أن يكون ذلك بسبب فيلم منزلي.

وحذرت نفسها بأن لا تبدأ بالاستنتاجات حسب آرائها، ولكن هذه المرة لن تفقد السيطرة على نفسها، سوف يتكلمان بعقلانية.

ارتدت فستاناً صوفياً ازرق اللون يصل إلى حدود حذاءها. سرّحت شعرها ووضعت بعض الزينة على وجهها، انه امر لم تفعله منذ مدة طويلة. ووضعت الشال عليها والشيك في حقيبتها. بعد ان تأكدت من ذهاب ريان، لأنها لم ترد أن يلحق بها، مشت على الدرب، حذرة من أن لا تقع على الأرض الموحلة.

بدا وكأنها تحتاج إلى الكثير من الشجاعة لكي تتمكن من قرع الباب والدخول. عندما لم تتلق الجواب، فتحت الباب الخلفي، كان ليو يقف أمام الموقد يدير المقلاة بمهارة فائقة ورائحة اللحمة المقلية اسالت لعاب هيلاري. كان يرتدي مريلة تحيط بخصره لتحمي ثيابه من بقع الدهون. كان وجهه يبدو في حالة تأمل ووقفت هيلاري بهدوء، تتفحصه لعدة ثوان. كيف لها أن لا تعرف ان كانت تحبه أم لا؟ ولم تعرف ذلك حتى امس. كانت تعرف انه يعجبها، وتستمتع برفقته، ومرحه، ولطفه، إذاً لماذا لم تعترف انها تحبه؟ ولكن ما جدوى الاعتراف؟ بالتأكيد لا يبدو انه يشعر بالشيء نفسه، كما لا يبدو من نوع الرجال الذين يسامحون وينسون بسرعة.

احدثت ضجة خفيفة عندما اغلقت الباب جعلته يدير رأسه.

نظر إليها من قمة رأسها حتى أخمص قدميها. ومن ثم حوّل انتباهه إلى الموقد، وكانت هيلاري على وشك ان تستدير وتخرج من جديد.

وعندما استدارت بتردّد صرخ ليو بنفاد صبر: إما أن

تدخلي أو تخرجي.» ثم ما لبث أن تابع بلطف أكثر: «هناك قهوة في الابريق اذا كنت تريدين.»

همست: «شكراً لك.» ووضعت حقيبتها على الطاولة، وأخذت تبحث عن فنجان.

قال: «الفناجين في الخزانة فوق رأسك.»

حاولت أن تصل إلى فنجان، لمست يدها يده بالصدفة. انتفضت، فقال لها: «أنا لا أؤذي.»

وافقته بيأس «لا.» التقطت الفنجان بسرعة وحاولت الوصول إلى الإبريق، ولكن في تلك اللحظة امسك بمعصمها بقوة.

«ما هذا هيلاري، الابريق شديد السخونة استعملي الفوطة! ألا تملكين العقل؟»

همست بينما اغرورقت عيناها بالدموع وقالت: «على ما يبدو، لا.»

سكبت القهوة بيد مرتجفة، واضافت الحليب والسكر، ثم ذهبت لتجلس إلى الطاولة.

سألها فجأة: «هل تريدين اي شيء تأكلينه؟»

«كلا شكر لك.» ان أية شهية كانت قد احست بها للطعام قد ذهبت كلياً الآن.

عاد إلى عمله وندمت على رفضها الفظ، فأية محادثة حتى لو كانت عن الطعام أفضل من هذا السكوت المطبق.

حدقت بظهره، محاولة أن تستعيد الصورة المحببة عنه، والعطف، لكنها فشلت.. المشهد الذي رسمته في ذهنها قبل أن تأتي عن كيفية اعتذارها له بلطف، وشكره، بينما ليو

يبتسم بلطف، لا وجود له في الحقيقة ابداً. بدا وكأنه لم يبتسم في حياته قط.

اعتذرت قائلة: «أنا آسفة.» وبدا صوتها عالياً في المطبخ الساكن، وتمنت لو انها بقيت صامتة.

«عن ماذا؟»

«لأنني كنت قاسية و...»

«أوه، لم تكوني قاسية يا هيلاري بل كنت مهينة.»

وافقته بهدوء: «اذاً مهينة.» مصممة على أن لا تفقد أعصابها، بالاضافة إلى أنه إذا ما بقي على هذه الوتيرة فان فرصة بقاءها هادئة قد تذهب سدى.

أخذت نفساً عميقاً وتابعت: «وأتيت لأشكرك أيضاً، لاخباري عن وضع أهلي، لقد اتصلت بهم.» ولاذت بالصمت، رشفت القهوة التي لم تعد ترغب بها، ولم تنظر إلى أعلى إلا عندما جاء للجلوس قبالتها، ووضع صحن كبير من البيض واللحم امامه. بدا غير مكترث بوجودها كلياً حتى انه لم ينظر إليها أبداً.

قالت بتردد: «جاء ريان لرؤيتي.»

«أعرف، مع أنني غير متأكد انه يكترث لملابسك هذه.»

شرحت له قائلة: «لم أرتد هذه الملابس لاجله، لكن ماذا تعني بأنك تعرف؟»

نظر إليها قائلاً: «أتيت لأراك باكراً. اعتقدت انني ربما كنت قاسياً قليلا امس.»

لكنه الآن ألا يعتقد انه يتصرف بقساوة على الاطلاق؟ لماذا؟ ما الذي جعله يتغيّر، هل لأنه عرف أن ريان كان في كوخها؟ او... أو شيء مثل ان حاول عناقها، لا بد انه فعل،

وفسر الامر على طريقته: «رأيت ريان يحاول عناقي، أليس كذلك.»

«هل فعل؟»

وافقته مفكرة: «نعم، لقد حاول ذلك لأنه رآك.»

لا يستطيع سوى أن يجعل الآخرين كبش محرقة. خاصة إذا كانت هي. شرحت بهدوء: «عندما رآك قام بمحاولته.»

وافقها بعدم اكتراث: «وهذا ما اعتقده ايضاً.» ثم نهض من مكانه، وأخذ صحنه إلى المغسلة وسكب لنفسه القهوة.

«ولكنك لا تزال تعتقد أنه كان هناك بدعوة مني؟ وعقلك الصغير اوحى اليك بأنني ارتديت هذه الملابس لأجله، أليس كذلك؟»

«ما تفعلينه أو لا تفعلينه لا يعنيني...»

قاطعته: «لا بالطبع. ولكنك تبدو وكأنك تتهمني بنفس الامور التي كنت أتهمك بها... أو على الاقل اسألك عنها. أنت عادة لست متشككاً هكذا.» في الواقع لم تستطع مقاومة استفزازه.

سألها بنعومة: «متشكك؟» كان تعبير وجهه غامضاً، ولكن التعبير في عينيه كان مصمماً مما جعل نبضها يتسارع.

«بدوت ذات مرة وكأنك ماهر إلى درجة تستطيع أن تنسيني ريان، هل تعتقد أن ريان ماهر كفاية ليحملني على نسيانك؟»

ضاقت عيناه وضع فنجانه على الطاولة، ثم نهض ليمشي ببطء إلى ناحيتها. قائلاً: «وهل هو كذلك؟»

اومأت برأسها نافية.

قال بلطف: «لا. والآن إذهبي إلى غرفة الجلوس حيث أنها مريحة اكثر.»

اطاعته وذهبت إلى الغرفة الاخرى، شاعرة بالعصبية، جلست على حافة المقعد، وعيناها مثبتتان على الباب.

عندما دخل، حاملاً فنجاني القهوة، جاء ليقف امامها. ناولها أحد الفنجانين، ووجهه لا يحيد عن وجهها، ارتشف بعضاً من القهوة وقال: «ماذا تريدين بالضبط يا هيلاري؟»

قالت بغباء: «ماذا؟»

«نعم، ماذا تتوقعين ان يحدث الآن؟»

قالت بيأس: «لا أعرف.» وهذا كان كذباً، فهي تعرف ما تريد أن يحدث الآن. أرادته أن يخبرها بأن كل شيء على ما يرام. ابعدت نظرها عن وجهه الهادىء، وحدقت في فنجانها.

قالت تراوغ: «أن أذهب لرؤية أهلي.»

«بعد ذلك؟»

همست: «لا أعرف.»

سألها: «هل اكتفيت من الرجال في الوقت الحاضر؟» وكانت عيناه مركزتان على وجهها التعيس.

قالت بيأس وهي تنظر إليه: «نعم، كلا، أوه، أعني يا مات...»

«اسم ليو يكون افضل.»

«إذاً، ليو، أنا فقط لا أعرف.» حدقت فيه، حاولت قراءة مشاعره التي في عينيه ولم تستطع. بدا غير مكترث كلياً، وكأن كل الأمور كانت افتراضات. سألته بفضول: «لما لم تخبرني عن اسمك الحقيقي؟»

«لأنني لم أكن أعرف إذا ما ذكرت لك والدتك أي شيء عني. هي تعرف اسمي مات ولم ارد تنبيهك إلى من أكون إلى أن أعرف ماذا سيحصل، فلو عرفت منذ البداية من أكون وأن أهلك يعرفونني لما أعرتني أي انتباه.»

انكرت ببؤس: «لا أعرف، انها لم تذكر اسمك.»

قال بخبث: «كلا، هذا ما استنتجته.» وأخذ رشفة أخرى من فنجانه.

سألها بنبرة عادية: «ماذا أراد ريان؟»

أجابته: «أنت.» ثم شرحت ما يريده ريان. توقعت ان يستغرب، ولكنها فوجئت عندما شتمه، قبل أن يرتشف ما بقي من القهوة ووضع الفنجان على الطاولة. احنى يده على الرف الخشبي، وحدق بمزاج عكر في النار.

سألته مترددة: «ليو؟» وعندما أدار رأسه لينظر اليها، أضافت بسرعة: «لم أشعر بشيء تجاهه، لا شيء على الاطلاق.»

سألها بعدم اهتمام: «ولكنك لا تشعرين بأي شيء لأي رجل آخر أيضاً، أنت جبانة يا هيلاري جبانة وعاطفية.»

تنهدت بنفاد صبر، مشى نحوها. وعندما حدق بعينيها الواسعتين والخائفتين سألها بقسوة: «وأنا يا هيلاري؟ ماذا تشعرين تجاهي؟»

الحب، أرادت أن تصرخ، ولكنها لم تستطع.

سألها: «ماذا؟ أنت في السابعة والعشرين. لست طفلة هل تنوين تمضية بقية حياتك مسجونة في الوحدة مخافة أن تتأذي؟ أو هل تنوين ان تمضي هذه الحياة متظاهرة انه كل رجل قد تقابلينه هو ريان؟»

صرخت مذعورة: «كلا! كلا! قلت هذا بدافع الغضب والارتباك لأنني لم أرد أن تعرف كم أذيتني!»

أجاب بغضب: «لم اؤذيك، تباً! أنت أذيت نفسك بمخيلتك الواسعة!»

وافقته بتعاسة: «أنا أعرف ذلك الآن، ولكن الا تستطيع ان تفهم لماذا؟ لم أعرفك. وقد بدا واضحاً انك تعرف ريان، وانك اتيت من أجل الأرض.»

تابعت: «بدا كل شيء مناسباً. وكنت خائفة من الوثوق بحكمي فأنا لا أعرفك جيداً.»

«وهل عرفت ريان جيداً؟ بالرغم من صداقتكما لبضعة أشهر.»

وافقته ببؤس: «كلا.» ولكن الأمر مختلف هذه المرة، أرادت ان تخبره، هذه المرة هي على ثقة.

لكنها تابعت تقول: «هذا لن ينجح أليس كذلك؟ كل ما تريده هو ان تعاقبني.»

وافقها بهدوء: «نعم، أريد معاقبتك.»

سألته: «هل حقاً شاهدت افلاماً منزلية عني وهل انا لا شيء؟»

أنكر: «كلا، لست لا شيء، لقد كنت غاضباً، ومتألماً، وهذا الصباح. شعرت بالغيرة الشديدة، رأيته يحاول التقرب منك، وشعرت بغضب قاتل حتى انني أردت ان أقتله. فكرت انني تكبدت كل ذلك العناء من أجل ان أجلبك إلي، واعدت المال اليك، فقط لكي أعيدك إليه، هل حقاً لم تشعري بشيء تجاهه؟»

اجابته بصدق: «هو أيضاً لم يشعر بشيء تجاهي. لا بد

أن الأمر كما قلت، رآك آتياً فحاول التقرب مني عن قصد، واحدة بواحدة.»

قال أيضاً انه ثري، ولكنها لم تعرف كيف تسأله. في هذا الوقت الغير مناسب، لا بد أنه سيتخيلها تبحث عن المال اكثر من أي شيء آخر.

تمنت لو أنها تستطيع التفكير بشيء تقوله لتجعله يثق بها، ولكن بعد سلوكها الغبي سابقاً، اعتقدت انه سيمضي وقتاً طويلاً قبل ان يبدأ بتصديقها من جديد. ماذا لو أخبرته انها ستذهب إلى استراليا؟

قالت بنعومة: «لقد بعثت برسالتي أمس.»

سألها بحذر: «وماذا؟»

اجابت بلطف: «سوف أذهب إلى استراليا لقد كنت على حق، كنت غبية جداً.»

«نعم، وريان لا يعني لك شيئاً؟»

«كلا، حقاً يا ليو، لا يعني لي شيئاً.»

أومأ: «حسناً.»

سألته: «سامحتني؟»

تمتم: «لا يجدر بي، لقد اتهمتني انني أفضل بقليل من لص، غشاش، كما لو أنني خططت كل ذلك فقط لأؤذيك، هل هذا ما اوحيته اليك؟»

اعتذرت بخبث: «قلت انني آسفة، وأنت كذبت علي.»

«حسناً، نعم، ولكن هذا لا يعني أن تقفزي إلى كل أنواع الاستنتاجات الأخرى.»

«حسناً، وماذا غير ذلك كان علي أن أفكر به عندما قالت جوين كل تلك الأشياء...»

استغرب: «جوين؟ وما دخل جوين بالأمر؟»

«حسناً، قالت...» توقفت عاجزة عن المتابعة عندما ادركت متأخرة ان ليو لا يعرف بأمر حديثها مع شقيقته، وعضت على شفتها. لو شرحت الأمر، فسوف تزج جوين بمشكلة.

حذرها بقوله: «لا أكاذيب، يا هيلاري، مادخل جوين بالأمر؟»

حدقت فيه بتعاسة، شرحت بسرعة وباختصار وذلك لصالح جوين، فتمتم بوهن: «إذاً لهذا لم أستطع حقيقة أن أفهم كيف استطعت الربط بين معرفتي باهلك ومعرفتي بريان. لذا أعتقد انني أدين لك باعتذار.» ثم تابع بقسوة: «مع أنني حين رأيتك عند باب المطبخ بكامل اناقتك بعد أن كنت مع ريان، أردت أي شيء عدا مسامحتك.»

نظر إليها متسائلاً وتابع: «هل قالت شيئاً آخر؟»

«كلا فقط أنها لا تراك كثيراً...» وفجأة تذكرت ما قاله الولد. لقد سألها ابن شقيقته إذا ما كانت هي من سيتزوج خاله.

سألها: «ماذا؟»

كان القلق يبدو من عينيها، فهي إذا لم تخبره سيعتقد انها تخفي امراً ما عنه ومن الأفضل ان يعرف كل شيء.

لم يقل ليو أبداً أنه يريد ارتباطاً دائماً، ولكن إذا كان في نيته الزواج من أخرى فلم يتورط معها؟

حذرها: «هيلي، ماذا أيضاً؟»

اسرعت: «سألني ابن شقيقك إذا كنت أنا من ستتزوجها وكنت أتساءل...»

سأل بلطف: «لماذا أكون معك إذا كنت سأتزوج من أخرى، ألم يخطر ببالك انه أنت من كنت أقصد؟»

«طبعاً. خطر لي! ولكنني فقط لم أكن أجرؤ على الأمل بذلك.»

«ألم تتوقعين الزواج مني؟ ماذا كنت تتوقعين اذا؟»

حدقت فيه بارتباك واعترفت: «كيف لي أن أعرف ماذا تريد؟ لقد كنا غريبين في الفترة الأخيرة...»

أنكر بنعومة: «ذلك لم يغير من مشاعري، مع علمي انك تمسكين بالنهاية الخاطئة للعصا؟»

قالت ببساطة: «لأنه، لم يخطر ببالي انك عازم على الزواج مني، أو على الأقل لم أجرؤ أبداً على الأمل بذلك، إلى جانب اننا بالكاد نعرف بعضنا البعض.» نظرت إليه نظرة جانبية، وابتسمت بارتباك ثم همست: «هل حقاً تريد الزواج مني؟»

«نعم، أنا حقاً أريد الزواج منك. لماذا تجدين ذلك غير معقول إلى هذا الحد؟ بالنسبة إلى اننا لا نعرف بعضنا البعض، لدينا بقية حياتنا لإكتشاف ذلك.»

سألته بحذر: «هل أنت غير قلق من أنه لربما وجدت بعض الامور التي قد لا تعجبك بي؟ أشياء قد تغيظك؟ مشاهدتك لي في فيلم منزلي، ومعرفة غير عميقة عن شخصيتي لا تعني انك تعرفني يا ليو فهناك العديد من الأمور عني...»

سألها بمرح: «مثل؟»

فسرت له: «حسناً، لا أعرف، ربما اترك دواء الاسنان من دون الغطاء!»

«حسناً، هل تفعلين؟»

استغرب: «جوين؟ وما دخل جوين بالأمر؟»

«حسناً، قالت...» توقفت عاجزة عن المتابعة عندما ادركت متأخرة ان ليو لا يعرف بأمر حديثها مع شقيقته، وعضت على شفتها. لو شرحت الأمر، فسوف تزج جوين بمشكلة.

حذرها بقوله: «لا أكاذيب، يا هيلاري، مادخل جوين بالأمر؟»

حدقت فيه بتعاسة، شرحت بسرعة وباختصار وذلك لصالح جوين، فتمتم بوهن: «إذاً لهذا لم أستطع حقيقة أن أفهم كيف استطعت الربط بين معرفتي باهلك ومعرفتي بريان. لذا أعتقد انني أدين لك باعتذار.» ثم تابع بقسوة: «مع أنني حين رأيتك عند باب المطبخ بكامل اناقتك بعد أن كنت مع ريان، أردت أي شيء عدا مسامحتك.»

نظر إليها متسائلاً وتابع: «هل قالت شيئاً آخر؟»

«كلا فقط أنها لا تراك كثيراً...» وفجأة تذكرت ما قاله الولد. لقد سألها ابن شقيقته إذا ما كانت هي من سيتزوج خاله.

سألها: «ماذا؟»

كان القلق يبدو من عينيها، فهي إذا لم تخبره سيعتقد انها تخفي امراً ما عنه ومن الأفضل ان يعرف كل شيء.

لم يقل ليو أبداً أنه يريد ارتباطاً دائماً، ولكن إذا كان في نيته الزواج من أخرى فلم يتورط معها؟

حذرها: «هيلي، ماذا أيضاً؟»

اسرعت: «سألني ابن شقيقك إذا كنت أنا من ستتزوجها وكنت أتساءل...»

سأل بلطف: «لماذا أكون معك إذا كنت سأتزوج من أخرى، ألم يخطر ببالك انه أنت من كنت أقصد؟»

«طبعاً. خطر لي! ولكنني فقط لم أكن أجرؤ على الأمل بذلك.»

«ألم تتوقعين الزواج مني؟ ماذا كنت تتوقعين اذاً؟»

حدقت فيه بارتباك واعترفت: «كيف لي أن أعرف ماذا تريد؟ لقد كنا غريبين في الفترة الأخيرة...»

أنكر بنعومة: «ذلك لم يغير من مشاعري، مع علمي انك تمسكين بالنهاية الخاطئة للعصا؟»

قالت ببساطة: «لأنه، لم يخطر ببالي انك عازم على الزواج مني، أو على الأقل لم أجرؤ أبداً على الأمل بذلك، إلى جانب اننا بالكاد نعرف بعضنا البعض.» نظرت إليه نظرة جانبية، وابتسمت بارتباك ثم همست: «هل حقاً تريد الزواج مني؟»

«نعم، أنا حقاً أريد الزواج منك. لماذا تجدين ذلك غير معقول إلى هذا الحد؟ بالنسبة إلى اننا لا نعرف بعضنا البعض، لدينا بقية حياتنا لإكتشاف ذلك.»

سألته بحذر: «هل أنت غير قلق من أنه لربما وجدت بعض الامور التي قد لا تعجبك بي؟ أشياء قد تغيظك؟ مشاهدتك لي في فيلم منزلي، ومعرفة غير عميقة عن شخصيتي لا تعني انك تعرفني يا ليو فهناك العديد من الأمور عني...»

سألها بمرح: «مثل؟»

فسرت له: «حسناً، لا أعرف، ربما اترك دواء الاسنان من دون الغطاء!»

«حسناً، هل تفعلين؟»

«كلا.»

«إذا كفي عن هذه الأعذار السخيفة.»

سألته بنعومة: «هل حقاً وحقيقة تريد الزواج مني؟»

«نعم.»

توجهت إلى المطبخ لتجلب العصير من البراد. مع أن فكرة شرب العصير البارد على معدة خاوية لم تكن بالفكرة الحكيمة ولكن من يريد أن يكون حكيماً؟

الفصل السابع

عندما اجتازت هيلاري الردهة، وجدت نفسها وجهاً لوجه امام ريان. غابت الإبتسامة عن وجهها، سألته بعنف: «ماذا تفعل هنا؟»

قال بازدراء: «ابحث عن صديقك طبعاً وماذا غير ذلك.»

«إذاً لما لم تطرق الباب؟»

«لأنه لن يرد، وأنا عازم على الحصول على مالي.»

الاستهزاء بادٍ على وجهه بينما كان يقول بلطف: «ربما كنت مخطئاً في اخراجك من حياتي، آمل أن يقدرك فيرلاندر جيداً» شعرت بالغضب الشديد من كلامه، الأمر الذي جعلها تصفعه بقوة، ثم قالت: «والآن أخرج.»

لم تندهش عندما رفع قبضته يريد معاقبتها.

حذره ليو ببرودة: «لا تجرؤ حتى على التفكير بذلك.»

راقبت وجه ريان، كان عليها ان تعطيه نقاطاً في الشجاعة، لم تكن لتجرؤ حتى هي نفسها على مواجهة ليو بهذا المزاج.

أشار ليو بحركة متغطرسة من رأسه بان تعود إلى غرفة الجلوس، وبينما كانت تراقب الرجلين أبعدت أخيراً وإلى الأبد أية مشاعر ربما كانت تحملها لريان. رأته على حقيقته وما عليه من ضعف، انه مخادع، غشاش، وعندما كانت على وشك الابتعاد، رأت ريان يبدأ بالتحرك ويحاول الامساك بذراع ليو.

صرخت محذرة، ولكن جاء تحذيرها متأخراً وأخذت تراقب بذهول ودهشة كيف تقدم وبحركة سريعة جداً رفع ويان إلى أعلى من حنجرته واسنده الى الحائط، عندها اسرعت نحوهما لتمسك بذراع ليو في محاولة لابعاده.

صرخت: «كلا! كلا، يا ليو، دعه يذهب!» ظنت في بداية الأمر انه لن يصغي اليها، فقط عيناه كانت الحياة تدب فيهما وهو يحدق بريان، وبعدها افلته فسقط سقطة قوية على الأرض.

قال ليو ببرودة دون أن ينظر إليها: «قلت لك أن تذهبي إلى غرفة الجلوس، هيا اذهبي الآن.»

نظرت بخوف إليهما، ثم ذهبت بتردد إلى الغرفة الأخرى، وصارت تروح وتجيء فيها غير متأكدة مما سيحصل.

أخيراً، قررت ان تسترق النظر اليهما من الباب المفتوح جزئياً.

رأت ليو فيما مضى غاضب، هازىء، سمج، ولكنها لم تره أبداً يبدو عليه الاجرام إلى هذا الحد، مجرد من أي شعور انساني، الأمر الذي جعلها ترتعش خوفاً.

فجأة لم تعد ترى الرجلين وتصورت كل أنواع المآسي بما فيها القتل، فمشت ببطء في الردهة المؤدية الى المطبخ، ثم دخلت اليه، ونظرت حولها.

سألها ليو ببرودة من خلفها: «إذا كنت قلقة إلى هذا الحد بشأن سلامته، أما كان من الأفضل لك لو تلحقين به؟»

استدارت حولها متفاجئة، ونظرت إليه باستغراب: «أذهب وراءه؟ لماذا علي ان أذهب وراءه؟»

«لأنك، تبدين مهتمة جداً بشأن سلامته.»

«أوه، لا تكن سخيفاً! لم اتركك تدعه وشأنه بسبب هذا! كم تحب القفز إلى الاستنتاجات...»

قاطعها بازدراء: «أنا من يقفز إلى الاستنتاجات.»

تابعت بحدة متجاهلة كلامه: «اردتك ان تدعه لأنني لم ارد زيارتك في السجن ورؤيتك تمسك بالقضبان الحديدية!»

«هل حقاً كنت ستزورينني في السجن؟»

«هل تتوقف عن ذلك؟ بالطبع كنت سازورك، يا غبي. تعرف ما هو شعوري تجاهك، الا تعرف؟»

سألها متنهداً: «هل أعرف؟» مرر يده المتعبة في شعره، ولاحظ خوفها فتابع مازحاً: «أبسبب هذا تتسللين وتبدين مثل بوكاهونتاس؟»

«كنت قلقة عليك، اعتقدت انك بحاجة للمساعدة، أو أي شيء آخر. إذاً، أين هو؟»

«لماذا؟ هل تريدينه؟»

«كلا، لا أريده! ولا تبدأ بذلك من جديد. إذا، أين هو؟»

«ذهب.»

بحثت في عينيه، غير متأكدة كلياً انها تصدقه، مشت حواليها وإلى الردهة، لكنها لم تر أي أثر له ووجدت ان الأمر قد يبدو سخيفاً لو نظرت تحت الاثاث، عادت ادراجها لتجد ليو يقف عند الباب، ويديه مطويتان إلى صدره.

سألها بلطف: «تبحثين عن بقع من الدم؟»

حدقت فيه واجابت: «كلا.» فجأة ابتسمت بوداعة قائلة: «عفواً، هل ضربته من جديد؟»

«اهتمي بأمورك الخاصة.»

اشارت قائلة: «كدت ان تشنقه.»

«كدت ولكنني لم أفعل. انما يمكنك الوثوق تماماً بانه لن يزعجك مجدداً.»

قالت باحباط: «ولكن ماذا فعلت؟»

«هذا يكفي.»

لم تكن مقتنعة تماماً بهذه المعلومات القليلة عندما كانت تريد كل التفاصيل، عادت الى الردهة، فلحق بها قائلاً: «ألا تريدين شراباً؟»

قالت برجاء: «أرجوك، أعتقد انني بحاجة إليه.»

«حسناً، سآتي به.»

عندما ذهب، اشعلت نار المدفأة وجلست على المقعد الجلدي تحدق في الجمرات المتأججة.

سأل ليو بنعومة من ورائها: «إذاً وعدت باعادة غطاء دواء الاسنان إلى مكانه، هل تتزوجينني حالما أعد الترتيبات اللازمة؟»

استدارت هيلاري لتنظر إليه، وأخذت الكوب منه، ثم شاهدته يمشي إلى حيث المقعد الوثير.

سألها عندما لم يفهم النظرات التي توجهها إليه: «لماذا أنت مترددة يا هيلاري؟ تريدين التأكد من أوراق اعتمادي اولاً؟»

«كلا! اعتقد انني فعلت ذلك.»

ضحك ورمى الوسادة إليها.

التقطتها بيد واحدة، وقالت ببطء: «ليس هذا سبب ترددي، ولكنني اجد انه من غير المعقول أنك تريد الزواج مني.»

وافقها: «معك حق، انه غريب قليلاً، أعني، انني واعٍ جداً، عقلاني...»

رمته بالوسادة من جديد، لكنها لم تصب الهدف مثله، فقال: «لما تجلسين بعيدة هكذا؟»

«لأنني لا أستطيع التفكير جيداً عندما اكون قريبة منك. هل تعيش بالقرب من والدتي ومايك؟»

اجاب: «ليس بعيداً، بضع مئات من الأميال، وبضع دقائق في الطائرة. تريدين توضيحات اكثر؟ حسناً، إسمي ماثيو مازليون فيرلاندر. عمري ستة وثلاثون عاماً، وعلى ما يبدو، أملك نصف استراليا.»

سألته بوهن:

«أنت ماذا؟»

ردد: «أملك نصف استراليا، حسناً ربما هذا مبالغ فيه قليلاً. ربما الثلث فقط.»

اتهمته قائلة: «قلت انك تعمل في العقارات!»

«أنا كذلك.»

«ولكن ليس كوكيل عقاري؟»

«ليس بالتمام.»

أصرت: «ماذا إذاً، تبيع وتشتري؟»

«كلا. في الغالب أنا أملك. أوه، بضع آلاف من الأكرات هنا وهناك...»

«ليو!»

سألها ببراءة: «ماذا؟»

سألته مترددة: «أنت ثري، إذاً؟ ريان قال انك كذلك.»

سألها محتداً: «أوه، لماذا يدخل اسمه في كل حديث؟»

«كلا، ولكن عندما وجدتك لا تريد اخباري اي شيء، كان علي استعمال مصادر اخرى. واعتقد ان الملابس الرثة التي كنت ترتديها لم تكن سوى لتضليلي!»

بدا وكأنه أهين فأجاب: «ملابسي الرثة! يجب ان تعرفي جيداً انني اختار ملابسي العادية بعناية كبيرة. أنا لست خجلاً من ذلك!»

«لكنك ثري، ثري جداً!»

«حسناً، لا تجعلي الأمر يبدو وكأنني أنقل عدوى الطاعون. وأفترض انك الآن ستختلقين بعض الاعذار عن عدم امكانيتك الزواج من ثري؟»

انكرت قائلة: «كلا، لن أفعل!» ان الزواج من شخص يملك المال الوفير، لهو بالأمر الرائع كما انه فكرة جيدة! ولكن إلى أي حدّ هو ثري؟ تساءلت وبدأت تشعر بالخوف إذا كان من اصحاب الالقاب الرفيعة، فكيف تستطيع التعامل مع هذا النوع في الحياة؟ فهي ليست سوى ممثلة وكالة سفريات وليست...

قال بنعومة قاطعاً افكارها: «هيلاري، تعالي إلى هنا.»

«كلا.»

حذرها: «هيلاري...»

صوته كان ناعماً ولطيفاً، وبدا مرتاحاً، ولكن النظرة في عينيه كانت توحي بعكس ذلك.

وقفت ببطء، وذهبت لتقف إلى جانبه، فقال مؤكداً بلطف: «أنا أحبك يا هيلاري. صدقي ذلك ارجوك. أعتقد انني أحببتك دائماً ولا حاجة لك لتبدي هذا الاستغراب. كان الامر صحيحاً بخصوص الأفلام المنزلية وجزء منه على كل

حال. والدتك تتكلم عنك دائماً ـ فهي تفتقدك كثيراً، كما ان مايك يتحدث عنك بفخر واعتزاز وبينما كنت استلقي في غرفتهم الاضافية، وليس لدي ما اقوم به، فكرت بك انا أيضاً. فكرت بعينيك الضاحكتين، بابتسامتك الدائمة، ومثل مراهق، اخترعت أحلام يقظة عنك. ولكن هذا كان كل شيء في ذلك الوقت. الأحلام تأتي من الملل أو الألم أو من كليهما، عندما سمح لي أخيراً بالنهوض والخروج وذهبت إلى منزلي توقعت أن أنساك. كوني ثرياً بشكل غير معقول عرفت انني سأجد العديد من النساء ليجعلنني انسى ولكنني لم استطع...»

قاطعته هيلاري بدهشة: «هذا مبالغ فيه.»

تابع يقول: «على كل، كل ما استطعت رؤيته في تلك النساء، هو عينيك وابتسامتك الواسعة، وبعد عدة اسابيع قضيتها ملاحقاً من خيالك الجميل قررت ان اتي إلى انكلترا. كنت مقتنعاً انني حالما اراك سوف أشفى مما انا عليه، فاتصلت باهلك وطلبت عنوانك...»

قاطعته: «ألم يطلبوا منك فعل ذلك؟»

«كلا...»

«ولكنك قلت...»

«أعرف ما قلت، ولقد كان ذلك بدافع الكبرياء.»

ثم تابع يشرح مبتسماً وقد تمكن من تهدئة حدة غضبها بنجاح.

فقال: «بعد ذلك كتبت لجوين ادعو نفسي لقضاء عدة اسابيع عندها. اعتقدت لجهلي ان بلدة لوركومب في نهاية طريق نورويش، عندما اكتشفت ان المسافة تلتزم ساعة من

القيادة، لذا تمكنت من اقناع الكولونيل بأن يؤجرني منزله.»

سألته باستغراب: «هكذا وبكل بساطة، طرقت باب منزله وطلبت منه ذلك؟»

«طبعاً، كان أكثر من مسرور ليفعل، خاصة عندما شرحت له السبب.»

تمتمت: «بالتأكيد، هذا ما يحصل عادة.»

وافقها: «ربما.»

«إذاً إلى اين طلبت منه ان يذهب؟»

«إلى منزلي، بالطبع رتبت رحلته، اتصلت بمدير أعمالي ليقابله و...»

سألته باستغراب منذهلة: «تكبدت كل ذلك العناء من أجلي؟ وكل تلك المصاريف؟»

امتلأت عيناها فجأة بالدموع. وبدا لها كل ذلك غير مفهوم.

أخبرها بجدية: «كنت لأفعل أكثر من ذلك بكثير يا هيلاري، ألا تعتقدين انك تستحقين ذلك؟ لقد أردتك. وما أريده عادة، احاول قصارى جهدي لأحصل عليه.»

شعرت فجأة بالخجل، ونظرت إلى الأسفل ثم سألته بصوت أجش: «وبمقابل رحلة إلى استراليا أخبرك الكولونيل كل شيء عني.»

شرح بلطف: «لم تكن غلطته، جعلته يعتقد انني اعرف كل شيء، وهو شرح ذلك فقط لأنه كان معجباً بك.»

«أعتقد انه ما كان عليك سوى أن تومض ابتسامتك بوجه نساء القرية لتجعلهن يخبرنك بكل شيء.»

مازحها قائلاً: «هل تعتقدين اذ؟ أن النساء الأخريات ربما يجدن ابتسامتي رائعة؟»

اعترفت: «نعم.»

«جيد. كنت شبه محضر لأن أكرهك من مجرد رؤيتك، ومقتنع أن مقابلتك سوف تبعد الأوهام عني، ولكن في نفس الوقت لم أرد أن يحدث ذلك أبداً. لكن الذي لم أكن مستعداً له هو مظهرك في البداية حيث بدوت ضائعة وبائسة، وهاتان العينان الجميلتان مليئتان بالظلال حتى انني وللمرة الاولى في حياتي المضنية والمملة، شعرت بأنني وقعت في الحب.»

«كلا...»

أصر بنعومة: «نعم.»

نظرت بسرعة إليه، وحدقت في عينيه، شاهدت الدفء والمرح والحب.

شعرت بالوهن عندما تذكرت بعض استفزازاته فعبست قائلة: «هل توقعت مني أن أعرف؟»

«نعم، اعتقدت ان النساء على معرفة دائمة، وهل تعتقدين بصدق انني عادة اسمح للنساء بصفعي على وجهي؟ ليس مرة بل مرتين؟ ولأنك سلبت قلبي لم اعاقبك.»

سألته ضاحكة: «سلبته؟»

«نعم! فالحب لا يحتاج لأي سبب ليثبت وجوده، فهو فوق أي تفسير، وكل الاقتناعات عما تريدين او تحتاجين. وعندما رأيتك طارت من عقلي كل الأفكار عن الشقراوات الرائعات، وتعلقت بك، وعرفت انني لن استطيع تركك تذهبين.

كنت سأشرح عندها ولكنني شعرت بالجبن، عندما قوطعنا. اعتقدت انني اعرف ما قد تكون ردة فعلك، ولكن فكرت لشدة كبريائي أنني إذا ما شرحت كل شيء، عن البيع والأرض ومالك المرتجع، سوف تكونين ممتنة إلى درجة أن تقعي بين ذراعي.»

وأصبح وجهه جدياً عندما اضاف بلطف: «هل ان مشاعرك هي نفس مشاعري؟»

أجابت: «أنت تعرف كيف أشعر.»

«كلا، لا أعرف.» أمسك بوجنتها لكي يتمكن من التحديق بعينيها وسألها بهدوء: «هل بامكانك ان تحبينني؟»

رددت بارتباك: «بامكاني؟»

«هل تعتقدين انه بامكانك ان تحبينني في يوم من الايام؟»

حدقت فيه، وقالت بوهن: «أوه، يا ليو، كيف تسأل مثل هذا السؤال؟ أنا أحبك كثيراً الآن، كما لا شيء مما فعلته او قلته كان سيغير ما اشعر به تجاهك، لو لم أفعل. عليك ان تعرف ذلك!»

لكن كيف له معرفة ذلك؟ فهي نفسها لم تعرف حتى البارحة.

قال موضحاً: «ما افهمه عن الحب، هو يجب ان ينمو مثل وردة رقيقة، عليه أن يسقى، ويبقى دافئاً...»

«أنا لا أنكر إطلاقاً انني سقيت هذا الحب، فقد كنت اصرخ واستمر واهين واصفع!»

قال بابتسامة صغيرة مرحة: «حسناً، هذا كان نوع من السقي ولكن كان عليّ ان ادفعك لذلك كي أخرجك من حزنك، لأنني كنت اريد هيلاري أن تعود إلى طبيعتها.»

دمعت عيناها من جديد، وقالت: «اوه، يا ليو! لقد سببت لك الآلام المبرحة؟»

أجابها بحنان: «لقد كنت متألمة ويائسة وكان عليّ ان اساعدك.»

أصرت بنعومة: «ولكنني لم اعد ذلك، وأنا أحبك حقاً، ليس لدي ادنى شك بذلك...»

«ما الذي يقلقك اذا، العيش في استراليا؟»

«لا، انما لو كنت بالرجل العادي، لما كان هناك اية مشاكل.»

«أنا رجل عادي.»

«كلا، أنت لست كذلك! ليس من شخص يملك نصف استراليا هو رجل عادي. الزواج اكثر من الحب والاهتمام والقيام بالاشياء معاً. إنه التواجد جنباً إلى جنب، والمشاركة بروح مرحة وساخرة! هو ان تبقى على حبي حتى عندما اصبح عجوزاً شمطاء!»

قال محاولاً تهدئتها: «فتاتي العزيزة، لا يمكن لك أبداً ان تصبحي مثل عجوز شمطاء امامي، لا؟ كنت نكرة، متغطرسة، وقاسية جداً في أغلب المناسبات التي تقابلنا بها، وهذه نواحيك السلبية، وادرك جيداً انه هناك ايضاً نواحي ايجابية رائعة فيك، لذا من الصعب علي ان أقع فريسة أي اوهام، لا؟»

أخذت تنهيدة طويلة، بينما كانت تتساءل كيف ستفسر كل الأشياء الأخرى التي تزعجها.

اعترفت قائلة: «ليس فقط ذلك أنا تقريباً لا أعرف أي شيء عنك، وإذا كنت مهماً وثرياً، فأنا أتوقع انك تستقبل العديد من

الاصدقاء وشركائك في العمل مما يعني انك تحتاج إلى شخص يمكنك الاعتماد عليه، ولا أعرف إذا كنت استطيع! أنا عادية جداً، ليو!»

«أوه، هل يمكن أن تتوقفي عن هذه السخافات؟ أصدقائي وشركائي ليسوا وجهاء أتعرفين، أنهم أشخاص عادين، مثلي! انني لا أعيش بصورة مختلفة عن الآخرين! حياتي كتاب مفتوح... أنا لست رجلاً خارقاً، لكنني مأخوذ بافتراضاتك، الحقيقة انني عادة مشغول جداً بالاجتماعيات. صدقيني، حبيبتي بعد يوم عمل في الخارج مع الاحصنة أنا...»

سألته مستفهمة: «أحصنة؟ قلت أنك تعمل في مجال العقارات!»

أصر متشدداً: «أنا كذلك، لدي مزرعة للخيل.»

حدقت فيه، في القوة، في القامة التي تبدو منبعثة منه دائماً على الرغم من مظهره البارد والهادىء، ولم تصدق شيئاً مما قاله.

سألها بلطف، والاغاظة بادية في عينيه: «ألا تحبين الاحصنة يا هيلاري؟»

وافقته بوهن: «أجل، أحب الأحصنة.» وبعد ذلك لم تكن قادرة على التفكير بأي شيء آخر لتقوله عن الأحصنة، سألته عن شيء بدا اكثر اهمية بكثير: «هل عرفت الكثير من النساء، يا ليو؟»

«واحدة او اثنتين، هل يزعجك الأمر؟»

اجابت بصوت حاد: «نعم، ففكرة معرفتك بالنساء الجميلات تمزقني اربا.»

سألها متجهماً: «إذاً تفهمين كيف اشعر حيال ريان، لا؟ هل تعتقدين انني لم اسمع ما قاله لك؟»

عارضته بدون تفكير: «ولكن ذلك مختلف.»

«هل هو كذلك؟ لماذا؟»

«لأنه، حسناً، لأن الأمر لم يكن كما كان معك!»

أصر بخشونة: «ألم يكن؟»

نظرت إليه بطرف عينيها وقالت: «كلا، كلا، لم يكن.» كانت مسرورة لأنه يشعر بالغيرة. سألته: «هل يزعجك ذلك حقاً؟»

قال ببساطة: «نعم. فكرة لمسه لك أولاً، ومحاولة ضمك بين ذراعيه، امر، سوف يدفعني للجنون.»

«ولكنك لم تضربه...»

«ألم أفعل؟»

رمته بنظرة حادة وسألته: «هل فعلت؟»

«يا لك من فتاة متعطشة للأذى! ليس هكذا، كلا، هناك أساليب أخرى للتعامل مع الجرذان مثل ريان، الأساليب التي لا تترك آثاراً.»

سألته: «لم تخبرني أبداً كيف تمكنت من الحصول على المال منه.»

«فعلت معه ما فعله معك. في البداية عندما وجدته، وهذا ما لم يكن صعباً، عرضت عليه خمس آلاف باوند مقابل الارض...»

استعلمت منه بدهشة: «ولكنه ما كان ليقبل بذلك!»

قال لها: «أعرف، إذا لم تتوقفي عن مقاطعتي فلن أخبرك.»

«ضحك ريان في وجهي كثيراً، وهذا ما كنت اتوقعه. وبعد ذلك بدأت ابحث عن شارٍ حقيقي، ولهذا احتجت لأن أعرف أي نوع من إذن التخطيط يقبله المجلس. اذا كان لديك إذن التخطيط، فانه أسهل عليك بكثير بيع الأرض. عندما تأكد لي أن الاذن سيكون مضموناً لمنزل واحد، بغير حجم معين جلت عند وكلاء العقارات، أفتش عن مشتر.»

تدخلت قائلة: «ووجدت واحدة.»

الرجال امثال ليو يحصلون دائماً على ما يبتغون. بما في ذلك الزواج منها، اعترفت في نفسها بقسوة ثم قالت: «تابع.»

فتابع كلامه قائلاً: «كما أشرت أنت، وجدت واحداً، واحداً أراد أن يدفع مبلغاً محترماً. بعدها، بطريقة استرالية حقيقية، استأجرت شابين ليؤلفا حديثاً ويتحاورا به في المقهى التي يتردد عليها ريان، واعترف ان بعملي هذا اصبت الهدف. متأكداً أن ريان في الداخل، دخلا، وجلسا بالقرب منه. وبدآ حديثاً عادياً عن الارض، وقد قال احدهما، انه لو كان يملك أي أرض في نورفولك لتخلص منها بسرعة لأن المجالس كانت تتشدد في التمنع على اجراءات البناء، والارض في المستقبل سوف تستعمل للأهداف الزراعية فقط.»

ضحكت بسرور وسألته: «وسمع ريان ذلك الحوار؟»

«طبعاً، ريان ليس بحذق تعرفين ذلك، انه خبيث جشع، ولكن ليس نابغة. ذلك اليوم حين جاء الى دكان فرانك جرين يبحث عني، ورؤيته لي معك كاد ان ينسف كل الأمر، لقد

طلب مني الوقت الطويل كي اقنعه انني كنت معك بقصد اقناعك بأن...»

«بأن أقنع الكولونيل ليطلب من أصدقائه في المجلس ان يرفعوا الحظر عن التخطيط!»

«يا لك من فتاة ذكية! لذا، صدقني واشتريت الأرض منه. بعد ذلك بعتها للمشتري الأصلي، وأعدت المال لك...»

«وعرف ريان بالأمر؟»

«تأكدت من معرفة ريان بالأمر. وإلا ما كان الجدوى من ذلك؟ كان علي التأكد انه عرف بأنه خدع.»

«لهذا كان يبحث عنك ـ مع أنه كيف توقع اقناعك بان تدفع الفرق له هذا ما لا أعرفه!»

اجابها بابتسامة خبيثة: «لكنني دفعت له الفرق اليوم.»

ضحكت ثم قالت: «لم يكن ذلك تصرفاً حكيماً منه. وأنت فعلت كل ذلك من أجلي؟»

قال: «طبعاً، لم أفعل ذلك من أجلي أنا.»

وافقته بنعومة: «كلا.» مع أنها كانت لا تزال تجد صعوبة في التصديق بأن احداً ما يتكبد كل تلك الصعاب من أجلها.

حثها بلطف: «صدقي ذلك يا هيلاري.»

«نعم، صدقتك.»

«سوف يكون للسيدة هيلاري فيرلاندر خاتم جميل.» ثم أضاف مؤكداً: «ألا تعتقدين ذلك؟»

لفت يديها حول عنقه: «نعم، اعتقد.»

عرض عليها: «أستطيع تأسيس معمل لك، وسوف أدعك تمتطين أحصنتي.»

همست: «لم تشاهدني أمتطي جواداً.»

«هذا لا يهم. أنا أحتاجك يا هيلاري. أنا لا أعرف لماذا أنت دون كل الناس.»

كان وجهه هادئاً وكأنه حلم وعيناه الرماديتان تومضان بالعاطفة عندما قال: «أوه، يا هيلي، كم أحبك!»

همست: «آه، ولكن أرجوك لا تتوقف عن حبي!»

«كلا.»

تمت

www.elromancia.com